الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

The People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministry of Higher Education and Scientific Research

المركز الجامعي صالحي أحمد- النعامةNaamaUniversity Center – Salehi Ahmed

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماسترفي اللغة والأدب العربي بعنوان:

أثر السياق في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار" لمحمود درويش

ميدان:اللغة والأدب العربي شعبة: الدراسات اللغوية تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبة: بومدين زكية

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
أ طهراوي ياسين	أ مساعد أ	رئيسا
أ وارف خيرة	أ محاضر ب	مشرفا ومقررا
أ بلقاسمي فاطمة الزهراء	أ محاضر ب	مناقشا

الموسم الجامعي

1446/1445هـ الموافق لـ 2024م/2025م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامة –

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد (ة) : زكية بومدين

الصفة (طالب – أستاذ – باحث) طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم : 209150464

الصادرة بتاريخ : 2023.04.23

المسجل (ة) بكلية / معهد : صالحي أحمد بالنعامة

قسم : اللغة و الأدب العربي

والمكلف (ة) بانجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج – مذكرة ماستر – مذكرة ماجيستير – أطروحة دكتوراه) عنوانها : أثر السياق ووظيفته في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار" لمحمود درويش

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه .

التاريخ : 2025.05.27

توقيع المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

إ هـد ا ء

أهدي هذا العمل المتواضع إلـروح زوجي الغالي رحمة الله عليه

إلى أطهر قلبين في حياتي: والديّ العزيزين

إلى من أتشوق لرؤية مستقبلها المشرق، حبيبتي وقرّة عيني

ابنتي " بشرى"

إلى أقرب النّاس إلى قلبي "إخوتي"

إلى جموع الأقارب والأصدقاء

إلى مرشدتي وأستاذتي "خيرة وارف"

إلى كلّ من علّمني وأرشدني ووقف إلى جانبي ولو بكلمة طيّبة رفعت من معنوياتي

كل باسمه ومقامه.

زكـيـة بـومـديـن

شكـر

الحمد لله السّميع العليم على فضله ومنّه العظيم والصلاة والسّلام على المصطفى الهادي الأمين،وعلى آله وصحبه أجمعين أمّا بعد:

مصداقا لقوله عزّوجلّ:﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ ﴾ (07 سورة إبراهيم)أشكر الله العليّ العظيم الذي أنارلي درب العلم والمعرفة،وأعانني على إتمام هذا العمل.

فلا يسعني في هذا المقام إلاّ أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذة المشرفة "خيرة وارف"التّي تكرّمت علينا بقبول الإشراف، وعلى توجيهاتها القيّمة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بالمركز الجامعي صالحي أحمد بالنّعامة.

زكيـة بـومديـن

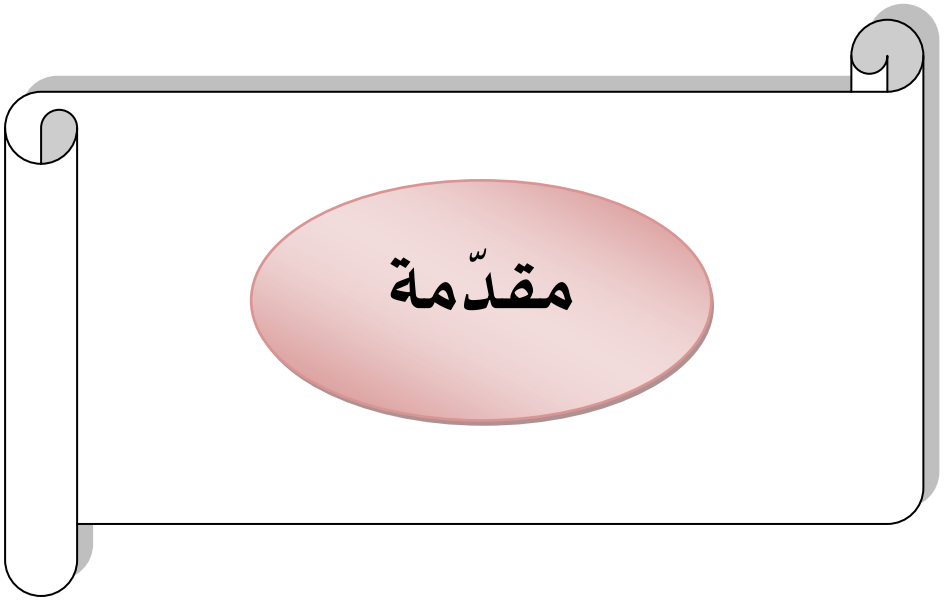
مقدّمة

مقدمة:

سبحان الخالق المصوّر الذي أنشأنا في أحسن صورة،ميّزنا عن سائر خلقه بالعقل، وجعل لنا لسانا لنتواصل به ونعبّر به عمّا يجول في خواطرنا.

تعدّ اللغة من أبرز خصائص الإنسان فهي الوسيلة التي يترجم بها أفكاره، ويوصل من خلالها مشاعره،كما ينشئ عبرها علاقاته الاجتماعية والثقافية.لكنّها ليست مجرد أداة تواصل فحسب، بل هي نسق رمزي معقّد يعكس التفكير ويشكّل رؤية الإنسان للعالم. حيث يتفاعل داخلها الصوت والمعنى والدّلالة في نسيج اجتماعي وثقافي متغيّر. وتعدّ الكلمة مكوّنا أساسيا من ذلك النسق، وهذه الكلمة مستقلّة تحمل بين طيّاتها معنى معجميا أو معانٍ، ولكنّ معناها الحقيقي والمقصود لا يتأتّى إلّا عند وضعها في سياق لغوي محدّد (جملة، فقرة، نص)، أو سياق غير لغوي (موقف، ثقافة، معرفة سابقة....). ومنه قد تحمل الكلمة الواحدة معانٍ متعددّة، بحيث يتغيّر مدلولها جذريا أو تكتسب فروقا دقيقة تبعا للمحيط الّذي ترد فيه، فيبرز ههنا دور السياق في عملية تحديد الدّلالة الدقيقة لهاته الكلمة، ليصبح السياق ذلك الإطار الّذي تكتسب فيه الكلمات مدلولها الحقيقي والمقصود. ممّا يؤدي إلى تغاير معنى الكلمة أو الجملة تماما بتغاير السّياق. ولعلّ هذا ما جعل السياق يتبوّأ تلك المكانة الكبيرة والأهمية البالغة لدى علماء اللّغة، فأصبحت دراسته أمرا جوهريا في اللسانيات الحديثة بشكل عام، وفي علم الدّلالة بشكل خاص.

وانطلاقا من هذه الأهمية جاءت هذه المذكرة لتسلّط الضوء على موضوع **"أثر السّياق ووظيفته في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار" لمحمود درويش"**. ومن الأسباب الّتي أثارت فينا الرغبة لدراسة هذا الموضوع والبحث فيه دون غيره؛ أهميته المركزية في فهم اللّغة والكشف عن كنهها، كما أنّ هذا موضوع يتّسم بالجدّة والحيوية، فعلى الرّغم من أنّ السياق مفهوم قديم في الدراسات اللّغوية، إلّا أنّه لا يزال مجالًا خصبًا يحتاج للبحث والتطوير، خاصة مع ما تشهده النظريات اللّغوية الحديثة من تطوّر وتقدّم. وتهدف دراستنا هذه إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والمعرفية؛ منها التعريف بالسياق، والكشف عن أنواعه، وتأكيد أهميته في تحليل النصوص الأدبية، ومن ثمّ إبراز أثره ودوره في إجلاء معاني الكلمات في المدوّنة الشعرية "حالة حصار". لقد أثار موضوعنا هذا إشكالية مهمّة يُحدّدها قولنا:

- فيم يتجلّى أثر السياق في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار"؟
- أو بصيغة أخرى: ما مدى تأثير السياق في توجيه دلالة الكلمة في الديوان؟.

وقد يتفرّع عن هاته الإشكالية مجموعة من الأسئلة نجملها فيما يلي:

- ما مفهوم السياق؟ وما هي أنواعه؟.
- وما أهميته في تحليل النصوص الأدبية؟.
- وكيف يسهم السّياق في تفسير الغموض أو اللبس في المعنى؟.
- وهل للسياق دور في تغاير دلالة الكلمة وتوضيح المقصود منها في الديوان؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة وأخرى اتّبعنا خطة مكونة من: مقدمة وفصلين وخاتمة ضمّت أهم النتائج المتوصّل إليها. ففي الفصل الأول تناولنا مفهوم السّياق وأنواعه وأهميته وهذا من خلال ثلاثة مباحث. إذ تناولنا في المبحث الأوّل مفهوم السياق لغة واصطلاحا، وفي المبحث الثاني تحدّثنا عن أنواع السياق، في حين خصّصنا المبحث الثالث لأهمية السياق في تحليل النصوص الأدبية. وأمّا الفصل الثاني من هذه الدّراسة فقد خصّصناه للجانب التطبيقي، وقمنا من خلاله بدراسة تحليلية لديوان "حالة حصار" للشاعر الفلسطيني محمود درويش. ففي المبحث الأول منه عرّفنا بالشاعر وأعطينا لمحة عن ديوانه، وفي المبحث الثاني قمنا بتحديث أثر السياق اللّغوي في توجيه دلالة الكلمة في الديوان من خلال الوقوف على جملة من الأمثلة المستخرجة من المدوّنة الشعرية، في حين خصّصنا المبحث الثالث للكشف عن أثر السياق غير اللّغوي في إجلاء معنى الكلمة في الديوان.

واعتمدنا في عرض هذه الخطة والتفصيل في مضمونها في جانبها النظري على المنهج الوصفي، المناسب لعرض المعلومات وتمحيصها، ووصف السياق وما يندرج ضمنه من أنواع وأهمية. وأمّا في جانبها التطبيقي فقد استعنا بآلية التحليل وذلك لتحليل المدوّنة الشعرية "حالة حصار" بالتركيز على السّياق والدلالة للكشف عن التفاعل بينهما داخل السياق الشعري. وكأي بحث اعتمدنا في تحرير موضوعنا على جملة من المصادر والمراجع أبرزها؛ كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، وكتاب "اللغة العربية معناها ومبناها" لتمام حسّان، وكتاب "في علم الدّلالة" لمحمد سعد وغيرها من المراجع التي ساعدتنا في إنجاز هذا البحث. وبما أنّ الموضوع واسع فقد تعدّدت الدّراسات حوله واختلفت طرقها منها؛ دراسة

موسومة: "أثر السياق في تحديد المعنى" لمحمد حدوارة، ودراسة أخرى عبارة عن رسالة ماجستير موسومة: "أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الموشحات المملوكية" لآية حسين خلف.

وكما أنّ كل بحث لا يخلو أيّ بحث من عراقيل تعترض سبيله، فقد واجهتنا بعض الصعاب نذكر منها؛ الارتباطات المهنية وإهدار الوقت في التنقل اليومي إلى مقر العمل الذي سببا لنا بعض التوتر والقلق خشية عدم إتمام المذكرة في الوقت المحدد، إضافة إلى البعد الزمني الطويل الفاصل بين حصولنا على شهادة الليسانس الكلاسيكي الذي تجاوز ست عشرة سنة، وإتمام الماستر، ولكن بفضل الله عزّ وجلّ تجاوزنا هذه الصعاب.

وختاما نتوجّه بخالص الشكر والتقدير إلى الأستاذة الموّجهة "خيرةوارف"، التي كان لها فضل الإشراف والتوجيه، ورحابة الصدر في تصويب الأخطاء وتذليل الصعوبات فجزاها الله خير الجزاء.

كتب في النعامة يوم: الأربعاء واحد ذو الحجة للعام السادس

والأربعين وأربع مائة وألف للهجرة، الموافق: للثامن والعشرين

من شهر ماي للعام الخامس والعشرين

وألفين للميلادي

الطالبة: زكيّة بومدين

الفصـــل الأوّل: مفهوم السياق وأنواعه وأهميته

- المبحث الأوّل: مفهوم السياق لغة واصطلاحًا
- المبحث الثاني: أنواع السياق
- المبحث الثالث: أهمية السياق في تحليل النصوص الأدبية

يحدّد السياق دلالة الألفاظ في استعمالها اللغوي، ويعتبر عنصرا مهما في فهم المعاني وتفسير المقاصد، ونظرا لأهميته الكبيرة ومكانته البارزة في إجلاء الدلالة وفهم المقصود أولاه علماء اللّغة والباحثون عناية كبيرة، فحاولوا تحديد مفهومه اللّغوي والاصطلاحي، كاشفين عن أبرز أنواعه، محدّدين أهميته في تحليل النصوص الأدبية؛ شعرية كانت أم نثرية. وهذا ما سنحاول التركيز عليه وإبرازه في هذا الفصل.

1. المبحث الأوّل: مفهوم السياق لغة واصطلاحا

أ. السياق لغة:

جاء في (لسان العرب) لابن منظور(630هـ/711هـ)في مادة (س- و- ق) :**"السّوق: معروف ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائقوسوّاق، شدّد للمبالغة.قال الله تعالى: {وجَاءَتْ كُلُّ نفسٍ مَعَها سَائِقٌ وشَهِيدٌ}** [1]**،(سورة ق ،الآية 21)قيل في التفسير سائق يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عليها بعملها.والمساوقة : المتابعة كأنّ بعضها يسوق بعضا، وساق إليها الصّداق و المهر سياقا وأساقه، وإن كان درهما أو دنانيرا لأنّ الأصل في الصّداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت"**[2].ويقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد بمعنى ولدتهم على إثر بعض في أوقات متقاربة، بحيث لم تكن هناك فترة طويلة بين ولادة كلّ ولد والآخر[3]. ونفهم مما جاء في لسان العرب أن السياق يعني التتابع وسياقة الشيء وقيادته إلى مكان معين.

ولا يختلف الزبيدي (1145هـ/1205هـ) في شرحه لمادة (س- و- ق) عن ما أتى به ابن منظور،إذ يقول : **"تساوقت الإبل أي تتابعت،...وانساقت الإبل: سارت متتابعة،...والمساوقة المتابعة، كأنّ بعضها يسوق بعضا....ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يُساق الحديث، وجئتك بالحديث على سوقه،على سرده"**[4]. ويتضح من خلال هذه الشروح لمادة(س-و- ق) المأخوذة من معاجم مختلفة أنّ السياق في اللغة يدور معناه حول المتابعة.والملاحظ على هذه المعاني أنها حسية لأنّ أصلها من سَاقَ

[1] سورة (ق)، الآية:21.

[2] ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط6، 2008م، مج:07، مادّة (سَوَقَ).

[3] يُنظر: المصدر نفسه، مادّة (سَوَقَ).

[4] الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1989م، مادة (سَوَقَ).

الماشية سوقاً، حيث إنّ المعاجم العربية الحديثة تأثرت بهذا المعنى فاستخدمته في سياق الجملة،واستعارته من سياق الماشية إلى سياق الكلمات في الجملة.

ب. السياق اصطلاحا:

لقد عرّف ستيفن أولمانstephen ulmann*(1914م/1976م) السياق بأنّه **"النّظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"**[1]، والمقصود من ذلك أنّ الكلمة تكسب بعدها الدّلالي إذا ما ارتبطت مع جارتها ارتباطا تلازميا ومنه يتشكل النظم اللفظي، إذ يشترك الجميع في إبراز المعنى، وتعتبر نظرية السياق الحجر الأساس في علم المعنى، وهذا ما يشير إليه أولمانفي قوله:**" نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تعتبر الحجر الأساس في علم المعنى"**[2]، فهناك العديد من المفردات قد لايتّضح معناها بدقة في ضوء التفسيرالمعجمي لها، إذ **"يظل تحديد معنى الكلام محتاجا إلى مقاييس وأدوات أخرى غير مجرد النظر إلى القاموس"**[3]،وذلك أنّ الكلمة يتغير معناها المعجمي ويتعدد حسب السياق ، إذ في كل مرة تستعمل فيه الكلمة تكتسب معنى محددا مؤقتا، ويفرض السياق قيمة واحدة على الكلمة هي المعنى الذي تدل عليه في سياق معين دون آخر.[4]

يشير تمام حسّان(1918م/2011م) إلى السياق في معرض حديثه عن القرائن اللفظية والمعنوية فيقول:**"العلاقات السياقية قرائن معنوية تفيد في تحديد المعنى النحوي"**[5]، ومن هنا يمكننا القول إنّ السياق في المعنى الاصطلاحي هو تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى، بحيث يقوم هذا التتابع على مجموعة من العلاقات الداخلية والخارجية،تعمل على تحقيق الترابط والتعالق بين مكونات النص وأجزائه، وتسهم في تلاحمها لتشكّل بناءً كليا مترابط الأجزاء.ومما سبق يظهر بجلاء أنّ السياق لا

---

*ستيفن أولمانstephenulmann: (1914م/1976م) هو عالم لغوي مجري ولد في الواحد والثلاثين من شهر يوليو عام ألف وتسعمائة وأربعة عشر ميلادي. قضى معظم حياته في إنجلترا، وكتب عن الأسلوب وعلم المعاني في اللغات الرومانسية واللغات الشائعة.

[1] ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة،تر: كمال بشر،مكتبة الشباب،القاهرة، 1962م، ص57.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] محمود السعران، علم اللغة "مقدمة للقارئ"، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 2007م، ص290.

[4] يُنظر: علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد، 1986م،ص94.

[5] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،دار الثقافة،الدار البيضاء، المغرب، (د.ط)، 1994م، ص191.

يرتبط بالنص ومكوناته اللغوية فحسب، بل يشمل أيضا الظروف و الملابسات غير اللغوية المحيطة بذلك النص من ظروف اجتماعية وثقافية وسياسية....وغيرها.

2. المبحث الثاني: أنواع السياق

يعدّ السّياق إطارا مرجعيا لا غنى عنه في فهم المعنى،وقد أفضت الدراسات اللسانية والبلاغية إلى تصنيف السياق إلى أنواع عديدة، تختلف باختلاف الزوايا التي ينظر منهاإليه، ومن أبرز هذه الأنواع نذكر ما يلي:

أولا: السياق اللغوي:

يعرّفه الشاذلي أبو السعود حسنين بأنّه" **النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم،بأوسع معاني العبارة."**[1]،فالسياق اللغوي يشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي تقع فيه،أي السياق الذي تقع فيه الكلمة في الجملة،فتكتسب منه توجيها دلاليا، وقد تأتي في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى.ويقول عبد القاهر الجرجاني (400ه/471ه):" **ليس كلامنا فيما يفهم من لفظتين مفردتين نحو: قَعَدَ وجلس، ولكن فيما يفهم من مجموع كلام، ومجموع لكلام آخر"**[2]، والمقصود من ذلك أنّ المعنى في السياق مخالف للمعنى الذي يقدمه المعجم، لأنّ الثّاني متعدد، في حين أنّ المعنى الذي يقدمه السّياق اللغوي هو معنى معيّن له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم.

أدرك اللغويون أنّلهذا النوع من السياق أثر في تغاير دلالة الكلمة نتيجة لتغايريحدث في التركيب الذي وقعت فيه؛كالتقديم والتأخير، وهذا يسمىبالرتبة النحوية[3]. ويشمل السياق اللّغوي العناصر الآتية:

- الوحدات الصوتية والصرفية والكلمات التي يتحقق بها التركيب والسبك.
- طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

[1] الشاذلي أبو السعودحسنين، الأدوات النحوية وتعدد معانيها الوظيفية "دراسة تحليلية تطبيقية"، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، مصر، ص51.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3 ،1992م، ص126.

[3] يُنظر: محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصّل إلى المعنى، ص06.

- طريقة الأداء اللغوي المصاحبة للجمل أو ما يطلق عليه التطريز الصوتي، وظواهر هذا الأداء المصاحبة المتمثلة في؛ النبر والتنغيم والفاصلة الصوتية.

ومثال ذلك كلمة (عين) في اللغة العربية فهي من المشترك اللفظي وتستعمل في سياقات لغوية عديدة، فتختلف معانيها وتتعدّد باختلاف كلّ سياق ترد فيه فنقول:(عين الطفل تؤلمه)، والمقصود بها ههنا العين التي يرى بها. وأمّا عندما نقول:(في الجبل عين جارية) سيختلف معناها، إذ نعني بالعين ههنا نبع الماء.ولكن عندما نقول:(العين الساحرة وسيلة لمعرفة طارق الباب) نقصد بها المنظار المركب في الباب.وتدلّ العين في قولنا:(هذا عين للعدو)على الجاسوس .وأمّا عندما نصف شخصا ونقول:(الرجل عين من الأعيان)فإنّنا نعبّر بكلمة (عين) على شخصية مرموقة.[1]

ثانيا: السياق غير اللغوي:

هذا النوع من السياق **"يمثله العالم الخارجي عن اللغة بما له من صلة بالبحث اللغوي أو النص ويتمثل في الظروف الاجتماعية والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام أيضا"**[2]، ويسمى أيضا بسياق الموقف والسياق الخارجي ،أو سياق الحال وهو الخافية غير اللغوية للكلام أو النص. ويرى تمام حسان (1918م/2011م) أنّ**"إجلاء المعنى على المستوى الوظيفي(الصوتي والصرفي والنحوي) وعلى المستوى المعجمي فوق ذلك لا يعطينا إلاّ (معنى المقال) أو المعنى الحرفي كما يسمّيه النقاد، وهو معنى فارغ تماما من محتواه الاجتماعي والتاريخي منعزل تمامًا عن كلّ ما يحيط بالنص من القرائن الحالية"**[3]،ونفهم من خلال هذا القول أنّه لايتمّ معنى الكلام ولا تؤدي الكلمة وظيفتها في منأى عن سياقها الخارجي.

هذا ونجد أنّ العرب قد انصبّ اهتمامهم على سياق المقام، وأهميته في بيان دلالات الألفاظ،إذ نجد أنّهم حين جمعوا الشعر العربي ودوّنوه حرصوا على وضع مقدمات حول المناسبات والملابسات التي نُظم فيها ذلك الشعر بغرض فهم معانيه.ويقول الراجحي(1937م/2010م):**"قد لا يكون بعيدا عمّا نحن فيه أن نشير إلى أنّ العرب القدماء كانت لهم إشارات إلى الموقف أو المقام، أو غير ذلك مما يشبه نكرة**

[1] يُنظر: محمد محمد سعد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1 ،2002م، ص40 و41.

[2] عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين،دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، (د.ط)،2007م، ص 547.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص337 و338.

الحال من هذه الإشارات ما أفرده المفسرون لمعرفة أسباب النزول"[1]، ويتّضح ممّا سبقأنّ معنى كلمة (السياق) لا يقتصر على السياق الداخلي للنص، أي اللغوي وما يحتويه هذا السياق من عناصر صوتية ونحوية ومعجمية وأسلوبية، بل يتّسع ليشمل أيضا الظروف المختلفة التي تحيط بالكتابة والقول ، وهذا يعني أنّ المعنى المعجمي ليس هو كل شيء في إدراك معنى الكلام، فثمة عناصر غير لغوية ذات أثر كبير في تحديد المعنى.

وتندرج ضمن السياق غير اللغوي أقسام أخرى نذكر منها:

أ. السياق الثقافي:

يُحدّد السياق الثقافي ويختلف بحسب المحيط الثقافي والطبقة الاجتماعية،وعليه يمكن اعتباره الإطار العام الذي بداخله يتمّ إحداث المواقف المميزة، والدّالة من وجهة نظر اجتماعية،وقد لاحظ العرب القدامى ارتباط الدلالة بمثل هذا السياق،إذ يقول الجاحظ(776م/869م):" **كلام النّاس في طبقات ، كما أنّ النّاس في طبقات"**[2]، ومنهينبغي تحديد نوع المجتمع اللغوي الذي تُقال فيه الكلمة، من حيث المهنة، أو درجة الثقافة، أو اختلاف اللهجات، وأما من حيث ثقافة المتكلمين، فإنّلكلّ جماعة مستوى ثقافي معيّن قديختلف عن ثقافة الجماعات الأخرى، ومثال ذلك كلمة "جذر" لها معنى عند المزارع، ومعنى ثان عند اللغويين، ومعنى ثالث عند عالم الرياضيات.[3]

ب. السياق العاطفي:

هو الذي يحدّد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية التي تفيد العموم ودلالتها العاطفية التي تفيد الخصوص،فيُحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا، كما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية،كما تنطق وكأنّها تمثل معناها تمثيلا حقيقيا، وما يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية؛ فمثال ذلك حين تنادي "يا سلام" فهذه العبارة صالحة لأن تدخل في

[1] ينظر عبده الراجحي ،نقلا عن عبد الكريم محمد حسن جبل،في علم الدلالة،دار المعرفة الجامعية،طنطا، مصر، (د.ط)، 1997م، ص24.

[2] الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، ص5.

[3] يُنظر: محمد سعد محمد،في علم الدلالة،ص44.

مقامات اجتماعية كثيرة جدا ومع كل مقام تختلف النغمة التي تصحب نطق العبارة، فمن الممكن أن تقال هذه العبارة في مقام التأثّر، وفي مقام التشكيك، وفي مقام السخط وفي مقام الطرب وفي مقام التوبيخ، وفي مقام الإعجاب.[1]

ج -السياق التاريخي:

نعني به ذلك الإطار الزمني الذي كتب فيه النص أو قيل فيه الكلام،ويشمل الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية التي كانت سائدة في ذلك الزمن.إذ يؤثّر في معانيه وتغيراته بتغيرّ الظرف التاريخي الذي نشأ فيه[2]، فالقرائن اللغوية التي يستعملها المتكلمُ في سياق كلامه علامات تُحيل إلى المعنى المراد، فإن لم يصحَبْها معرفة بالمتكلم المنشِئ للخطاب، وبالمستمِع الموجَّه إليه الخطابُ، وبالظروف المحيطة بالخطاب – فحينئذٍ لا يمكن معرفةُ المراد بالتحديد من الخطاب؛ لأنّ المعنى مركَّب من مجموعة من الوظائف اللغوية، بالإضافة إلى سياقِ الحال غير اللغوي. ويشمل سياق الحال عناصر كثيرة تتصل بالمتكلِّم والمخاطَب والظروف الاجتماعية والتاريخية الملابِسة للكلام، فمثلا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه في تفسيره لآيات القرآن الكريم وللحديث النبوي الشريف لم يكن يكتفي بمنطوق الآية أو الحديث، وإنّما كان يبحث في أسباب النزول وظروفه الاجتماعية والتاريخية، بمعنى أنّه كان يتجاوز المعنى الحرفي ليتوغّل في البحث عن المعنى الاجتماعي والتاريخي، ولا يقف عند معنى المقال، وإنّما يضمّ معنى المقام.[3]

د -السياق الاجتماعي:

يؤثر هذا القسم في إنتاج اللغة وفهمها،ويشمل العلاقات بين المتحدثين والطبقات الاجتماعية والعادات والقيم والمعتقدات السائدة،وهو عامل حاسم في تحديد كيفية فهم الرسالة وتفسيرها. وهذا ما يؤكّده ما يقال بأنّ ما يُدرَك متوقف على ما يُعتقد وأنّ حتمية حدود الإدراك متوقفة على حتمية حدود النماذج المعرفية والسياسية والثقافية والتخيلية التي تحرّك حدود الإدراك والوعي والتصرف[4].لقد شكّلت

[1] يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص345.

[2] يُنظر: جورج يول،علم التداولية،تر:سامي سليمان،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، (د.ط)، 2006م، ص128.

[3] يُنظر: تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص338.

[4] يُنظر: عماد عبد اللطيف،البلاغة والتواصل عبر الثقافات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة،ط1 ،2012م، ص24.

الدلالة الاجتماعية خيطا منهجيا وصفيا عند نحاة العربية أي تلك الدلالة المترتبة على سياق الحال[1]. وقد أدرك البلاغيون تمام الإدراك أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية وأنّها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الناطق بها، وأنّ هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية لذلك قالوا: "لكل مقام مقال" ولكل كلمة ما يصحبهامن مقام.[2]

ولا مراء أنّ لكل نوع من الأنواع السابقة دور في تحديد المعنى المراد من الكلام، وممّا يؤكّد ذلك اعتماد المفسرين على المقام وقرائنه في تفسير آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، نذكر على سبيل المثال ما حدث عندما سمع اليهود في المدينة الآية الّتي يقول فيها اللّه تعالى:﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**﴾[3]، فقالوا إنّ اللّه فقير وهم أغنياء، ولكن فهم أبو الدحداح (المقام) فهما حقيقيا فقال: "إنّ اللّه كريم استقرض منّا ما أعطانا"[4]. ونستحضر مثالًا آخر مرتبط بمستشرق سمع أحد الدراويش يصيح في إحدى طرقات القاهرة قائلا: "مدد"، وقد كان هذا المستشرق يعي المعنى المعجمي لتلك الكلمة، ولكنّه يجهل المقام الّذي صاحبها، ولا يعرف المعنى المقامي المخبّأ وراءها، فلذلك أخذ يستفسر عن أي نوع من المدد يريد ذلك الرجل. وتظهر من خلال ما سبق بجلاء فطنة المفسّرين منذ زمن قديم إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه، فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقا منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي. ومنه يمكننا القول إنّ المعنى الدّلالي يقوم على هاتين الركيزتين؛ المعنى المقالي المكوّن من المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي ويشمل القرائن المقالية، والمعنى المقامي المكوّن من ظروف أداء المقال ويشمل القرائن الحالية.[5]

[1] يُنظر: ينظر:تمام حسان، المرجع السابق،ص337.

[2] ينظر: حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء "دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة"،دار وائل، عمان، الأردن،ط1، 2006م ،ص98.

[3] سورة البقرة، الآية : 245.

[4] يُنظر: تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص 338 و339.

[5] يُنظر: المرجع نفسه، ص339.

3. المبحث الثالث: أهمية السياق في تحليل النصوص الأدبية

يعدّ السّياق الوسط الذي تقال فيه الجملة،فيكسبها المنطقية و القبول، إذ لا يمكن فهم المراد من الجملة فهما دقيقا دون مراعاة السّياق الذي قيلت فيه، **"ولا شك أنّ السّياق، مقاليا كان أو مقاميا هو مصدر القرائن،إذ عليه يتكلّ المتكلم في أن يلتمس منه المتلقي القرينة المعينة على فهم المعنى"**[1]، ومنه يمكن القولإنّالسامع يصل إلى ذهنه الفهم بواسطةالقرينة الدالة على المراد من الكلام.كما يحدّد السّياق المعاني النحوية ويُميّز بينها؛ كما حصل في جملة (صعدت علوا)، فقد تختلف معاني المنصوب (علوًّا) من مقام إلى آخر، إذ تدلّ على المفعول به إذا فهمنا من المقام التعدية، ويكون معنى ذلك (صعدت مكانا عاليا)، وتُعرب نائب المفعول المطلق إذا فهمنا من المقام توكيدًا، ويكون المعنى حينئذٍ (علوت علوًا)، وأمّا إذا فهمنا من المقام السببية، وكان معنى الجملة (صعدت لأعلو) أو (صعدت لأجل العلوّ)تُعرب حينئذٍ مفعولا لأجله، وهذه المعاني النحوية تُحدّد بواسطة المقام.[2]

تلقى على السّياق مهمة أداء المعنى والفهم لدى المتكلم عندما يحذف أحد ركني الإسناد في الجملة، إذ يقول سيبويه في ذلك:**"وإنّما أضمروا ما كان مضمرا استخفافا،ولأنّ المخاطب يعلم ما يعني،كما يقول:لا عليك، فعرف المخاطب أنّه يريد أن يقول: لا بأس عليك، ولا ضير عليك، ولكنّه حذف لكثرة هذا في كلامهم"**[3]، إذ يؤدي السياق دورا مهما في تحديد المعنى المراد من الجملة،وخاصة إذا كانت بعض الكلمات لها أكثر من معنى**"فليس للكلمة معنى منفصل عن سياقها بل معناها يحدده السياق الذي ترد فيه"**[4]، وممّا يجب التسليم به أنّ الكلمة لايمكن أن تؤدي مدلولها بمعزل عن سياقها في الكلام.

لقد احتلت دراسة السّياق مجالا واضحا من الفكر اللغوي العربي لأهميته الكبرى وقدرته الهائلة في توجيه الدّلالة،حيث تنبّه الكثير منعلماء اللّغة العربإلى أهمية السّياق، على غرارالجرجاني (400هـ/471هـ) الّذي قال:**"لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتّى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب تلك"**[5]، ومعنى ذلك أنّ الكلمة لا ترد إلّا بسبب الكلمة التي قبلها، ومنه فإنّ الكلمة لا تفهم ولا

[1] مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان،بيروت، ط1، 1997م، ص88.

[2] يُنظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،ص354.

[3] سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي،القاهرة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط 3، ج:01، ص393.

[4] فاضل السّامرائي، الجملة العربية والمعنى،دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000م، ص88.

[5] عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز،ص38.

يتضّح معناها إلّا بفعل الكلمة المجاورة لها. كما يشير اللّغويون المحدثون من العرب إلى أنّ الكلمة بمعزل عن التّركيب مجرد مفردة لا هويّة لها، ولكن شخصيتها الدّلالية تتميّز عندما توضع في التركيب مع غيرها من الكلمات[1]، ممّا يدل على أنّ المعنى المعجمي لوحده لا يمكنه أن يحدّد معنى الكلمة بل سياقها الذي وردت فيه. وللتوضيح أكثر نأخذ على سبيل المثال كلمة (ضرب) التي ترد في سياقات مختلفة،فقد تحمل معنى المعاقبة، وهذا ما ورد في قوله تعالى:﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾[2]، **(34 النساء)** والذي أعطى هذه الدلالة لكلمة (ضرب) هي لفظة(اهجروهن) حيث صيغت على هيأة فعل الأمر، والأمر تكليف لأداء شيء، ومنه فسياق الآية هو سياق تكليفي شرعي والتشريع فيه معاقبة، وكذلك بداية الآية بالهجران و(اهجروهن) وهو فعل يُؤوّل بالضرورة إلى ألم وحسرة ، وبالتالي فالمعنى يدل على العقوبة، ومنه فكلمة ضرب دالة على العقوبة لا على الانتقام والإضرار بالآخر[3]. ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ **وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ** ﴾[4]**(20المزمل)**،فهنا كلمة يضربون تدل على معنى السعي لطلب الرزق ولا تدل على المعنى المعجمي للضرب وهو الحدث المعروف، والذي يدل على دلالة السعي هي القرينة اللفظية (يبتغون من فضل الله) . وقوله تعالى: ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَءَامَنُواْۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَفَٱضْرِبُواْفَوْقَٱلْأَعْنَاقِوَٱضْرِبُواْمِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾[5]،**(12الأنفال)** فمعنى كلمة (فاضربوا) موجهة للمسلمين تحثّهم على الصبر ومواجهة الكفار، فهذه اللفظة تشير دلالتها إلى الشدّة والقوّة.

نستنتج مما سبق أنّ تحديد معنى كلمة(ضرب)في الآيات تمّ بواسطة السّياق، وهو القرينة التي تشخّص الدّلالة وتفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، وبهذا يمكن للكلمة الواحدة أن يكون لها العديد من المعاني حسب وجودها في سياقات مختلفة، وعليه يمكننا القولإنّالسياقContext يعد في الدراسات اللغويةالحديثة من أهمّ القضايا التي ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم الدلالةSémantics ؛ وذلك لدوره الرئيس

[1] يُنظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدّلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"،دار الشروق،القاهرة، ط1، 2000م، ص90.

[2] سورة النساء، الآية:34.

[3] مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، http=//quran.ksu.edu.sa.tafseer.katheer.

[4] سورة المزمّل، الآية: 20.

[5] سورة الأنفال، الآية: 12.

في كشف دلالة النّصّ وتحديد معناه، فالكلمة لا تكتسب قيمتها إلاّ بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق لها أو لكليهمامعا. ولا نعني بالسياق هنا النسق اللغوي الداخلي وحده؛ وإنمانعني به أيضا المقام الذي حدث فيهالخطاب. وقد كان للعلماء العرب جهود رائدة في العناية بدلالة السياق، إمّا على المستوى النظري، وإمّا على المستوى العملي، إذ أشاروا إلى أهمّيته ودوره في إنتاج الدلالة،وقد أُستعمل مصطلح السياق في التراث اللغوي العربي بصيغ أخرى كالمقام، والحال، والنظم، والسياق، واللحاق، والمساق، والقرينة، والمناسبة، وما إلى ذلك...[1]، وقد اعتنى المفسّرون كثيرا بدلالة السياق لما لها من أهمّية بالغة في تفسير كلام الله تعالى، فهي أصل ثابت من أصول هذا العلم، وبإهمالها يضع المفسّر قدمه على عتبات الزلل.وللسياق دور في استنطاق العبارات وتبيان معانيها حسب مناسبة القول فمدلول كلمة واحدة يوجب العديد من المعاني التي تكتشف عن طريق التفسير والتأويل.

[1] صابيح يمينة،أثر السياق ودوره في توجيه الدلالة،أقلام الهند، مجلة إلكترونية فصلية، دراسات ومقالات، أبريل 2022م، ع:02.

خلاصة الفصل الأوّل:

نخلص في ختام هذا الفصل إلى أنّ السياق هو الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النص،ووحدته اللغوية،والمقياس الذي تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وترابط،بحيث يؤدي مجموع ذلك إلى إيصال معنى معين أو فكرة محددة لقارئ النص. وهو تتابع المفردات والجمل والتراكيب المترابطة لأداء المعنى، بحيث يقوم هذا التتابع على مجموعة من العلاقات الداخلية والخارجية،تعمل على تحقيق الترابط والتعالق بين مكونات النص وأجزائه، وتسهم في تلاحمها لتشكّل بناء كليا مترابط الأجزاء. ومغزى ذلك أنّ السياق لا يرتبط بالنص ومكوناته اللغوية فحسب، بل يشمل أيضا الظروف و الملابسات غير اللغوية المحيطة بذلك النص من ظروف اجتماعية وثقافية وسياسية....وغيرها.

يعد السياق بنوعيه؛ المقالي والمقامي مفتاحا أساسيا لفهم النّصوص الأدبية،فهو يسهم في تأويل المعاني،وتحديد الأبعاد الفكرية والجمالية للنصوص، كما أنّه يُحدّد الدلالة الّتي يقصدها المتكلّم، ممّا يؤدي إلى وصول الفهم إلى ذهن المتلقي.ويساعد السياق المتلقي على تفسير الأحداث التاريخية والاجتماعية التي أثرّت في الكاتب ونصّه، لذا لا يمكن فصل النص عن سياقه إذا كنا نطمح إلى تحليل أدبي دقيق وواعٍ.

الفصل الثاني:

أثر السياق في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار" لمحمود درويش

- المبحث الأوّل: نبذة عن محمود درويش وديوانه "حالة حصار".
- المبحث الثاني: أثر السياق الداخلي (السياق اللّغوي) في ضبط دلالة الكلمة في الديوان.
- المبحث الثالث: أثر السياق الخارجي (السياق غير اللّغوى) فى تحديد دلالة الكلمة فى الديوان.

1. المبحث الأوّل: لمحة عن محمود درويش وديوانه حالة حصار:

محمودد رويش: شاعر فلسطيني وأحد أبرز الشعراء العرب، ولد سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين 1941م بإحدى قرى فلسطين "البروة". كان درويش أثناء مرحلته المدرسية متفوقا في دراسته، وكانت بوادر اهتمامه بالأدب العربي واضحة في تلك الفترة، فكان كثير المطالعة في الأدب، ويحاول كتابة الشعر. استمر محمود درويش في تعليمه حتّى أكمل الثانوية العامّة لكنّه لم يستطع إكمال مسيرته التعليمية الجامعية، فانتقل إلى العمل ككاتب في الصّحف والمجلات كمهنة يحترفها، وفي عام ألف وتسعمائة وسبعين 1970م انتقل إلى موسكو لإكمال تعلمه الجامعي. شغل شاعرنا العديد من المناصب في أقطار مختلفة؛ في مجالي الصحافة والتحرير، كما ترأّس رابطة الكتّاب والصّحفيين الفلسطينيين[1]. وأما عن سمات التجربة الشعرية عنده فإنّالجدير بالذكر أنّ درويش كان متأثرا بأشعار من سبقه من شعراء؛ مثل شعر عمر بن أبي ربيعة، والمتنبي في شعر المفاخرة،ثم انتقل إلى مرحلة ناضجة فنيا،إذ أصبحت أشعاره أكثر رقّة،وذلك إثر تأثره بشعراء الحركة الرومانسية؛ مثل: علي محمود طه،وإبراهيم ناجي وغيرهما.[2]

لقد كان للحب حيّز واضح في شعر محمود درويش،فربطه ربطا وثيقا بقضية وطنه لذلك وصف الحب بأنّه طريق محفوف بالشوك مشيرا بذلك إلى النضال.شهد لتطور شعر محمود درويش الكاتب عميش العربي في كتابه" القيم الجمالية في شعر درويش"،فقال فيه:" **فقد ساقت شرورة التجاوب مع الواقع المفروض بوادر الاستعداد لتدرج الرؤية الشعرية الدرويشية نحو الاكتمال الفني،مما يحول له تبوّء السّمعة اللائقة به بين أعلام الشعر العربي المعاصر**"[3]. تتميز قصائد محمود درويش باحتوائها على

[1] ينظر: هاني الخير، محمود درويش "رحلة عمر في دروب الشعر"، موسوعة أعلام الشعر العربي، دار رسلان، دمشق، (د.ط)، 2015م، ص 16.

[2] ينظر: محمد مراح، هندسة المعنى في الشعر العربي المعاصر "محمود درويش نموذجا"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تحليل الخطاب، كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2012م/2013م، ص 120.

[3] يُنظر: نورة بن تهامي ومليكة دحمانية، انفتاح النص الشعري عند محمود درويش قصيدة "أنا يوسف يا أبي"أنموذجا،مجلة حوليات الآداب واللّغات، كلّية الآداب واللّغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)،2018م، مج: 05، ع: ماي 2018م، ص 204.

الدّلالات الكثيفة والمبهمة التي لايستطيع القارئ فهم المعنى المراد منها سريعا إلاّ بعد التمحيص الذي يسبقه معاناة في تأويل المعنى.وهذا لابتعاده عن إظهار المفردات إظهارا تسهل معرفته.

1. **وفاة محمود درويش:**

وافته المنية أثناء مكوثه بالولايات المتّحدة الأمريكية عام2008م،بعد عملية القلب المفتوح التي دخل بعدها في غيبوبة. دفن بعد نقل جثمانه في رام الله تحديدا في قصرها الثقافي،كما سميّ القصر لاحقا باسمه تخليدا لذكراه .[1]

2. **أهم أعماله:**

من أهم أعماله؛ ديوان "عصافير بلا أجنحة" الّذي ألّفه عام 1960م، و "أوراق الزيتون الّذي صدر سنة 1964م، وديوان "يوميات جرح فلسطين" الصادر عام 1969م، و"حصار لمدائح البحر" الّذي ألفّه سنة 1984م، ثمّ ديوان "أحد عشر كوكبا" الصادر عام 1992م،و"لا أريد لهذه القصة أن تنتهي" الذي أُصدر بعد وفاته2009م.[2]

3. **ديوان "حالة حصار":**

أصدر الشاعر الفلسطيني محمود درويش ديوان "حالة حصار" عام2002م في رام الله، وصدرعن دار الرياض نجيب الريس للطباعة والنشر ببيروت. يحاول درويش في ديوانه هذا تحديد مفهوم واضح للسلام من خلال مجموعة قصائد تعكس أسلوبه الأدبي الفريد وإصراره على التمسك بالأمل، حيث قال في مقابلة صحفية إنّه كتب هذا الديوان في أقل من شهر عندما كان محاصرا في رام الله، وأضاف:"كنت أرى من بيتي الدبابات والجنود،لم تكن لدي طريقة مقاومة إلا أن أكتب، وكلما كتبت أكثر كنت أشعر أنّ الحصار يبتعد، وكانت اللغة وكأنّها تبعد الجنود لأنّ قوتي الوحيدة هي قوة لغوية"، وتابع قائلا:"كتبت عن قوة الحياة واستمرارها وأبدية العلاقة بالأشياء والطبيعة،الطائرات تمر في السّماء لدقائق ولكن الحمائم

[1] يُنظر: عبد الرؤوف خريوش،دور مجلة الكرمل في ترجمة فنون الآداب العالمية،جامعة القدس المفتوحة، نابلس، ص59.
[2] ينظر: محمد مراح، هندسة المعنى في الشعر العربي المعاصر"محمود درويش نموذجا"، ص121.

دائم، كنت أتشبث بقوة الحياة في الطبيعة للرد على الحصار الذي أعتبره زائلا، لأن وجود الدّبابة في الطّبيعة وجود ناشز وليس جزءًا من المشهد الطّبيعي.[1]

[1] https://www.aljazeera.net/culture/2002/4/16/

2. المبحث الثاني: أثر السّياق الداخلي (السياق اللغوي) في ضبط دلالة الكلمة في الديوان:

سنحاول في هذا المبحث أن نحلّل ديوان"حالة حصار" لمحمود درويش،و يجدر بالذكر أنّ هذه المدوّنة الشعرية كتبها شاعرنا وهو محاصر في بيته في رام الله سنة2002م، والحصار الصهيوني بأبشع صوره معروف،وبأفضع مجازره مشهور، لا يخفى على أحد جبروته وطغيانه،فهذا المدمّر الغاصب لا يحلو له سوى أن يظهر قوّته وجبروته على الأبرياء العزّل،فكلّ مواطن فلسطيني يدافع عن قضيته بما استطاع إليه سبيلا، فصاحب السّلاح يدخل ساحات الوغى، وصاحب الحجارة لا يقف ساكنا بل يرميها لتتحول إلى شرارة حارقة، وأمّا صاحب اللغة فلا يجد بدّا من كتاباته وأشعاره؛ وهذا ما فعله شاعر المقاومة محمود درويش في ديوانه .فإذا وقفنا على العنوان" حالة حصار" فإنّنا سنتوقف عند محطات عديدة تستوقفنا رغما عنّا،فالحصار والخطر يحيط بك من كل جانب،لايولّد إلّا الخوف والتّسليم لما هو آت من مغبّات، فالموت محتّم،والدّمار حتمي، والفقد أكيد، فليس السّلم كالحرب. والعنوان الذي اختاره الشاعر لديوانه ما هو إلّا مفتاح تأويلي للدّيوان كلّه،أمّا قوّته فتكمن في تركيبه البسيط والدّلالي المكثّف،فالحصار من "حصر"، أي أحاط بالشيء ومنعه من الحركة أو الخروج[1]. وهو مصطلح يستعمل في سياق الحروب والسّياسة كأن تحاصر شعبا أو مدينة، ويعدّ وضعا مؤقتا أو ظرفا استثنائيا.

لا تشير عبارة "حالة حصار" إلى الحصار الجغرافي أو العسكري فحسب كما يحدث في اجتياح المدن الفلسطينية المقدسة الطّاهرة. بل تمتدّ لتشمل الحصار النّفسي وما يصاحبه من خوف وقلق وانتظار وعجز، وحصار وجودي، فالمحاصر يحاول الحياة في ظل الاحتلال،والحصار هو زمن متوقف،وكلّ شيء فيه مجمّد زمكان مغلق. فالعنوان يحوّل في هذه المدوّنة الشعرية الحصار العسكري إلى حالة داخلية شاملة لإنسان محاصر،لغته محاصرة،مقاومته محاصرة، نلمح صوتا سياسيا ووجوديا، ولكنّه يقال بهدوء تأملي، لا بصراخ وعويل، فالشاعر كما ذكرنا سابقا يحاول تحديد مفهوم واضح للسلام من خلال ديوانه،مصّر على عدم الوقوع في اليأس والتمسك بفسحة الأمل مهما كانت ضيّقة.

[1] يُنظر: مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م، مادة (حصر).

السياق الدّاخلي (اللغوي) كما ذكرنا آنفا يتمثّل في تلك العناصر اللغوية التي تحيط بالكلمة داخل النّص من كلمات وتراكيب وأساليب وغيرها من القرائن المقالية، الّتي تساعد في تحديد معناها المقصود خصوصا إذا كانت الكلمة تحتمل أكثر من دلالة.عندما نتصفّح ديوان "حالة حصار" نجده يحمل بين طيّاته كلمات معبّرة عن المقام الّذي كُتبت فيه، فمنها ما دلّت على الحرب، ومنها ما أوحت بالحلم والأمل، ومنها مادلّت على المقاومة، ومنها ما دلّت على أصالة وكرم الشعب الفلسطيني، فنجدها ثريّة بالإيحاءات والدّلالات الكبيرة، وهذا ليس بجديد على شاعرنا فإذا أردنا أن نقسّم المقاطع حسب دلالاتها فيمكننا أن نعتمد التقسيم الآتي:

أ- <u>مقاطع المقاومة والحرب</u>:

"بلادٌ علي أُهْبَةِ الفجر. صرنا أَقلَّ ذكاءً
لأَنَّا نُحَمْلِقُ في ساعة النصر:
لا لَيْلَ في ليلنا المتلألئ بالمدفعيَّة.
أَعداؤنا يسهرون وأَعداؤنا يُشْعِلون لنا النورَ
في حلكة الأَقبية"[1]

لو أردنا البحث عن المعنى المعجمي لكلمة (حَمْلَقَ) في معاجمنا العربية لوجدناها تعني فتح العينين والنظر إلىالشيء نظرا شديدا[2]،فهي تدل على التحديق البصري القوي تجاه شيء مثير وملفت للانتباه.ولا تدلّ ههنا على مجرّد فعل بصري بل تشير إلى انتظار سلبيغارق في الوهم، فنحن ننتظر ساعة النّصر بشغف ولكن دون فعل ونحن نخدع أنفسنا بذلك، فالفعل ههنا يدل على السّذاجة،وكأنّ الشّاعر يسخر من حالة اللامبالاة، أو البَلادة السّياسية، حيث إنّ الإمعان في النّظر من قلة الذّكاء.ننتقل الآن إلى كلمة (النّور)، فمعناها المعجمي هو الضياء الطّبيعي أو الصّناعي وهو ضدّ الظلام[3]، ويستخدم مجازا للدلالة على

[1] محمود درويش، حالة حصار، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ط1، 2002م، ص 14.

[2] يُنظر: الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2008م، مادة (حملَقَ)، ص407.

[3] يُنظر: الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد)، الصّحاح "تاج اللّغة وصِحاح العربية"، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة ، مصر، (د.ط)، 2009م، مادّة (نور)، ص1177.

الهداية والأمن.والغريب ههنا أنّ الأعداء هم من يُشعلون لنا النّور،ولكن أين؟(في حلكة الأقبية)، أي في ظلام السّجون، وهذا ما جعل الكلمة تخرج عن معناه المعجمي، فأصبحت لا تعني الرّاحة، وصُبغت بمعنى المراقبة والتعذيب، فالعدو لا ينير المكان للسجناء الفلسطينيين حبا لهم، وإنّما ليذلّهم ويعذبهم ويحرمهم من الظّلام الهادئ،ومنه فدلالة النّور قلبت من أمان واطمئنان إلى أداة تحكّم وعدوان.ويقول محمود درويش في سياق آخر:

"يقولُ على حافَّة الموت:
لم يَبْقَ لي مَوْطِئٌ للخسارةِ:
حُرٌّ أنا قرب حريتي
وغدي في يدي. ..

سوف أَدخُلُ عمَّا قليلٍ حياتي
وأولَدُ حُرّاً بلا أَبَوَيْن،
وأختارُ لاسمي حروفاً من اللازوردْ"[1]

يسرد لنا محمود درويش في هذا الجزء الكلام الّذي يقوله الشهيد الفلسطيني وهو على وشك الاستشهاد، فالحافّة تعني الجانب، ويعني الشاعر بقوله "على حافة الموت" على وشك الموت،وأمّا الفعل "أُولد" فيدلّ على الميلاد وبداية الحياة والدّخول إلى الوجود.وتعني الحرية في لفظة "حرّا" عدمالتقييد والاستقلالية من تملّك الآخر. تخرج هذه الكلمات إلى معانٍ أخرى أوجدها سياق القصيدة، فهذا الشهيد على حافة الموت ولكنّه لن يموت بل سيولد في حياة أخرى بعد الموت حياة الاستشهاد، تلك الحياة التي وعد الله بها عباده، فالله تعالى هو الّذي قال:﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾[2]، والاستشهاد في سبيل الوطن دفاعا عن دينه الإسلامي ولغته وهويته للتخلّص من الاحتلال الصهيوني اليهودي هو استشهاد في سبيل اللّه تعالى. فقد صوّر لنا الشاعر مشاعر الشهيد وهو فرح باستشهاده حتّى أنّه جعله يقول: "أختار لاسمي حروفًا من اللازورد"، ويقصد بذلك أنّه سيُدوّن التاريخ اسمه بأحرف من ذهب، وسيذكره الصغير والكبير بعد مماته ويبقى اسمه خالدا لأنّه ضحّى بنفسه في

[1] محمود درويش، حالة حصار، ص14.
[2] سورة آل عمران، الآية: 169.

سبيل الدفاع عن وطنه، و"اللّازورد" هو نوع من الأحجار الكريمة يُستخدم للزينة، ولكنّ محمود درويش أتى به في هذا السياق ليبيّن عظمة الشهيد وهو يكتب اسمه بأحرف من ذهب في كتاب تاريخ الثورة الفلسطينية. وعندما قال: "أولد حرًّا بلا أبوين" يشير إلى التحرر من السّلطة الأبوية والتّخلص من كل قيد يرجعه إلى الخوف من الخسارة والفقد، ومنه لم يبق له موطئ للخسارة. وأصبح كائنا بلا إرث بلا وصاية،وكأنّه ما بحث عنه في الدّنيا لن يجده إلاّ وهو ميّت، وهو يقصد بذلك الحرية الّتي لم يعشها في حياته وفي أرضه المقدّسة وفي مجتمعه سينعم بها بعد استشهاده، بمعنى أنّه يجد في الموت نعمة. وممّا سبق يظهر بجلاء ذلك التأثير الّذي يؤدّيه السياق اللّغوي في إجلاء دلالة الكلمات والعبارات في المدوّنة الشعرية، فلولاه لما تمكّن القارئ من القبض على المعنى المقصود منها. يقول الشاعر:

"هنا، عند مُرْتَفَعات الدُخان، على دَرَج البيت
لا وَقْتَ للوقت
نفعلُ ما يفعلُ الصاعدون إلى الله:
ننسي الأَلَمْ"[1]

فالصعود يعني الارتفاع والارتقاء من مكان إلى مكان آخر أعلى منه[2]، والصّاعدون إلى الله تستخدم عادة لوصف من يموتون شهداء أو يرتقون أرواحا إلى السّماء. وفي هذا المقطع يشير إلى لحظة حصار أو قصف(مرتفعات الدخان)، حيث يضطرّ الإنسان إلى مغادرة بيته، أو يواجه خطرا وجوديا، فعبارة (يفعل ما يفعل الصّاعدون إلى الله)تدلّ على حالة استسلام روحاني أو موت وشيك. ومن المقاطع الدالّة على المقاومة والحرب قول الشاعر:

"أيها الواقفون على عتبات البيوت
أُخرجوا من صباحاتنا،

[1] محمود درويش، المصدر السابق، ص15.
[2] يُنظر: الجوهري، الصّحاح، مادّة (صعد)، ص644.

نطمئنَّ إلى أَننا
بَشَرٌ مثلكُمْ!"[1]

يخاطب محمود درويش العدو الصهيوني في هذا المقطع بلغة آمرة مطالبا إياه بالخروج من أرض فلسطين المقدّسة لكي يسترجعوا حريتهم وسلامهم ويعيشون كما يعيش الناس الأحرار في أرضهم. فالصّباح كما هو معلوم هو بداية اليوم، ووقت النّور والنّشاط، ولكن في السياق اللّغوي السابق لم يأت ليُعبّر عن هذا المعنى، وإنّما أشار إلى الحياة والأمل والطّمأنينة، فقد جمعها الشّاعر في (صباحاتنا) لتدلّ على الزّمن اليومي المتكرر وعلى الحال السّائد في تلك الفترة.فهذا المقطع يمزج بين تحسّر الشاعر على الوضع الّذي تعيشه وطنه وهي تعاني ويلات الحصار الصهيوني، وبين جرأته وقوّته وشجاعته في مواجهة هذا الاستعمار بالقول والكلمة الرصاصية،فهؤلاء الواقفون هم الجنودالإسرائيليون الّذين لم يحتّلوا الأرض الطاهرة فحسب، بل سيطروا على زمنها وصباحاتها . والسياق المقالي في المقطع السابق هو الّذي وضّح لنا هاته الدّلالة، وبيّن لنا مراد الشاعر من القول. ونجد محمود درويش يقول في مقطع آخر:

"نَجِدُ الوقتَ للتسليةْ:
نلعبُ النردَ، أَو نَتَصَفّح أَخبارَنا
في جرائدِ أَمسِ الجريحِ،
ونقرأ زاويةَ الحظِّ: في عامِ
أَلفينِ واثنينِ تبتسم الكاميرا
لمواليد بُرْجِ الحصار."[2]

يؤدّي السياق اللّغوي دورًا كبيرا في إجلاء معنى هذا المقطع، فواضح من خلاله أنّ الشاعر متفائل بغدٍ أفضل لوطنه، هذا الغد الّذي سيتمكّن فيه الفلسطيون من تحرير أرضهم المقدّسة من الاستدمار الصهيوني، فهو يقول إنّه سيأتي يوم يسترجعون فيه حرّيتهم المنهوبة، أين سيتمتّعون بحياة الحرية؛ يلعبون النّرد، يتسلّون، يتصفحون جرائد الأمس الجريح، والمقصود من ذلك سيُصبح ما تعيشه فلسطين الآن مجرّد وقائع تاريخية حدثت في زمن مضى ومرّ وانتهى، وقد جاء الشاعر ههنا بتعبير "الأمس الجريح"

[1] محمود درويش، المصدر السابق، ص18.
[2] محمود درويش، المصدر السابق، ص19.

والّذي هو عبارة عن استعارة مكنية ليُخبرنا أنّ هذا الحصار سيذهب ويزول لا محالة. يقول الشاعر مخاطبا القاتل الصهيوني:

"(إلى قاتل آخر): لو تركت الجنين
ثلاثين يوماً، إذاً لغيرت الاحتمالات:
قد ينتهي الاحتلال ولا يتذكر ذاك
الرضيع زمان الحصار"[1]

تشير كلمة (قاتل آخر) معجميا إلى شخص يقتل ويرتكب جريمة القتل،كما تدل على أنّه ليس وحيدا بل هناك عدد كبير من المجرمين، ومنه تدل على استمرار القتل دون تمييز بين القتلى.وأمّا الجنين معجميا هو ذلك الكائن الحي في بطن أمّه، ولكن دلالة هذه الكلمة في السّياق السابقتحيل إلىالأمل في الحياة والمستقبل الزاهر، ولكنّه مهدد بالموت. وأمّا عن قوله "ثلاثين يوما "فهي فرصة للنجاة"، فيحاول الشاعر ههنا أن يريه مستقبلا مختلفا بالكامل،لا قتل، لا احتلال، لا ذكرى للدّم، فعندما يولد الجنين في زمن لا حصار فيه فإنّه لا يتذكر ألما لم يعشه ولم يحضره، ليبقى النّسيان أمنية في عبارة (لو أعطينا الحياة مهلة صغيرة). وأمّا في المقطع الّذي يقول فيه:

"قالت امرأة للسّحابة: غطّي حبيبي
فإنّ ثيابي مبللة بدمه!"[2]

لو أردنا تحديد المعنى المعجمي لمفردة (السحابة) لوجدناها تعني الغيمة، وهي واحدة السحب أو السحائب أو السحاب، ولعلّها سميت باسمها لانسحابها في الهواء[3]، ولكن السّياق الدّاخلي أعطىلكلمات هذا المقطع دلالات إنسانية وشعورية عميقة،فالمرأة ليست مجرد شخصية، بل تمثل معاناة كلّ من فقدت ابنها أو زوجها في الحصار.والسّحابة ليست ظاهرة طبيعية ههنا، بل هي رمز للتعاطف والرّحمة. فهي المنقذ والمنجد الّذي استنجدت به تلك المرأة آمرة إياه بتغطية حبيبها، وقد صوّر لنا محمود درويش ههنا

[1] المصدر نفسه، ص30.
[2] محمود درويش، المصدر السابق، ص41.
[3] يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، مج: 01، مادة (سحب)، ص461.

مشهد الأم وهي تعانق ابنها، الّذي اخترق رصاص العدو جسده، ممّا أدّى إلى تبلّل ثيابها بدمه الساخن، وعندما لم تجد مَن يمدّ لها يد المساعدة رفعت رأسها إل السحابة وأمرتها بأن تغطي ابنها لأنّ ثيابها لم تصلح للغطاء، ولغة الأمر ههنا ليست حقيقية، لأنّ السحابة لا تؤمر من الإنسان فتُطيع، وإنّما هذا الأمر يحمل معنى الرجاء والتوسّل والاستغاثة، ودعاء إلى اللّه تعالى من أجل أن تمطر السماء بإذنه بغيث يغسل دماء ولدها. أمّا الثّياب المبللة بالدّم،فتُعبّر عن الألم الّذي لا يمحى رغم كلّ محاولات الغطاء أو الحماية.

ويجدر الإشارة ههنا إلى أهمية السياق اللّغوي في فهم دلالة الكلمات والنصوص وفهم معانيها، فمثلا عندما يتعلّق الأمر بمشهد المرأة الّتي أمرت السحابة بأن تغطي حبيبها، كيف كان لنا أن ندرك أنّ هذه المرأة هي الأم، لو لم نقرأ السياق الموالي للمقطع السابق، وذلك عندما قال محمود درويش:

"قالت امرأة للسحابة: غطّي حبيبي

فإنّ ثيابي مبللّة بدمه

إذا لم تكن مطرا يا حبيبي

فكن شجراً

وإن لم تكن شجراً يا حبيبي

فكن حجراً

وإن لم تكن حجراً يا حبيبي

فكن قمرًا

في منام الحبيبة....كن قمرا

{هكذا قالت امرأة

لابنها في جنازته}"[1]

فبقوله (هكذا قالت امرأة لابنها في جنازته) اتّضح لنا أنّ الحوار السابق حدث بين أم وابنها الشهيد. وأمّا كلمة (القمر) معروفة معجميا أنّها"**جرم سماوي صغير يدور حول كوكب أكبر منه ويكون تابعا له**"[2]، معروف بنوره وضيائه، ولكنّه في القول السابق لم يُعبّر عن هاته الدّلالة المعجمية، بل أكسبه السياق المقالي دلالة مجازية، لأنّ الإنسان لا يمكنه أن يكون قمرًا في الحقيقة، لذلك الأم دعت ابنها أن يتشبّه بالقمر في إنارته وحسنه وفي حضوره ومكانته، والقمر في هذا السياق يدلّ على الشهيد المضحّي بنفسه من أجل استقلال بلاده. يقول محمود درويش مخاطبا الموت:3

"إلى الموت : نعرف من أي دبابة
جئت. نعرف ما تريد... فعد"[3]

شخّص الشاعر ههنا الموت وخاطبه كشخص يفهم ويعي، مطالبا إياه بالعودة من حيث أتى، لأنّه لا يخشاه ولا يجعله يستسلم، وقال لهبأنّه لا يستطيع إكمال ما جاء من أجله، لأنّ الحياة أقوى هذه المرة ومثلها في العروسين، فعلى الرّغم من أنّ الموت لم ينجح هذه المرة في مهمته إلّا أنّه سبّب الألم والوجع والخوف. ثمّ قال:

" أنا" أو "هو"
هكذا تبدأ الحرب. لكنها
تنتهي بلقاء حَرِج:
" أنا وهو"[4]

[1] محمود درويش، المصدر السابق، ص42.
[2] مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص758.
[3] ينظر: خيرة وارف، دراسة دلالية لديوان "حالة حصار" لمحمود درويش وفق نظرية الحقول الدلالية،مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري،في ضوء النقد المعاصر(ولايتا النعامة والبيض) المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
[4] محمود درويش، المصدر السابق، ص64.

أنا وهوضميرين أحدهما يعبّر عن الذات والآخر يعبر عن الآخر، وأمّا دلالتهما في السّياق فهي تبين التوتر بين الطّرفين أي بداية صراع وجودي أو مادي.فتبدأ الحرب بين الطّرفين والصّراع يصبح في حدّته ثم تنتهي بلقاء مؤلم بين "أنا"و"هو"، والدّلالة ههنا تعكس استحالة الانتصار الكامل،أو الهزيمة المطلقة.ويقول الشاعر في مقطع آخر:

"أصدقائي يعدّون لي دائماً حفلة
للوداع، وقبراً مريحاً يظلله السنديان
وشاهدة من رخام الزمن
فأسبقهم دائماً في الجنازة:
من مات... من ؟"[1]

حفلة الوداع مناسبة للرحيل، والسّنديان هو شجرة قوية وثابتة يطلق عليها اسم البلوط، معروفة بصلابة خشبها وقدرتها على مقاومة العوامل الطبيعية،2 في هذا المقطع تتزاحم هذه الكلمات لتعطينا واقعا مرا يعيشه الفلسطيني يوميا، فهم لا يعيشون حياة آمنة، بل يُحضِّرون للموت ويستعدون لها كلّ يوم،فكلّهم مشاريع شهداء،لكن يبقى شعورهم بالسّبق والمفاجأة مصاحبا لهم فسؤالهم من مات؟ من؟يحمل شعور التبعثر بين التقبل والرّفض وبين التّأمل والقلق. ويقول:

"الشهيدة بنت الشهيدة بنت الشهيد
وأخت الشهيد وأخت الشهيدة كِنَّة
أم الشهيد حفيدة جد الشهيد
وجارة عم الشهيد الخ ... الخ..."[2]

[1] المصدر نفسه، ص84.

[2] 3ينظر :أ رشيد بن قسمية: قراءة سميوأسلوبية في ديوان حالة حصار لمحمود درويش،مجلة قراءات،مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة ومناهجها،جامعة بسكرة

كلمة الشّهيد مأخوذة من الشهادة، وتعني الاستشهاد والموت في سبيل الله، ثم في سبيل الوطن الطّاهر، وتكررت هذه الكلمة لتدلّ على أن الشهادة كتبت على كل مواطن فلسطيني بدون استثناء،فالمرأة والرجل، والشابة والشّاب، والطفل والعجوز والشيخ كلّهم مؤهلون للاستشهاد لاسترجاع أرضهم المسلوبة.

ب- <u>مقاطع الأمل والتفاؤل</u>:

"هنا ،
عند مُنْحَدَرات التلال ،
أمام الغروب وفُوَّهَة الوقت ،
قُرْبَ بساتينَ مقطوعةِ الظلِ ،
نفعلُ ما يفعلُ السجناءُ ،
وما يفعل العاطلون عن العمل:
نُرَبِّي الأملْ ."[1]

تدلّ مفردة (منحدر) معجميا على مكان مائل من أعلى إلى أسفل، وأمّا التّلال فهي مرتفعات صغيرة. ولكن في السياق اللّغوي السابق استعمل المنحدرات استعمالا يوحي بحالة من الانحدار والهبوط لا من مكان مرتفع، بل دلالته تهيّئ للقارئ الشعور بالتراجع السّياسي، وهكذا يكون الحال غالبا أثناء الحروب وعدم الاستقرار. وكلمة "فوهة" تستعمل عادة للدلالة على معنى البنادق أو البراكين،فهي تحيل إلى بداية الخطر والانفجار، وهذا مراد الشاعر من هذه الكلمة عندما أقحمها مع كلمة الوقت، فالسّياق يؤكّد أنّ للوقت فوهة،أي أنّ الزّمن نفسه مصدر خطر أو تهديد على البشر، وهذا ما يعمّق الشّعور بالحصار والخطر الدّاهم.وبالنسبة لكلمة (الظّل) فهو المكان المظلم الذي يسببه جسم ما عندما يحجب الضوء من الوصول إلى سطح ما. ودلالته في السياق السابق توحي بالخراب، فالبساتين التي هي رمز للخصوبة والجمال صارت بلا ظل،أي بلا حياة.

وتعني كلمة (السجناء) بأنّهم مقيدو الحرية، ولا تُطلق هاته الكلمة على كل شخص يُقيّد بالسجن فحسب، وإنّما الّذي يفتقر إلى حريّته سجين أيضا، أما دلالتها السياقية فتشير إلى التكرار والاضطرار،فهم

[1] المصدر نفسه، ص09.

في سجنهم مضطرون لتكرار نمط يومي فارغ، وترمز لحياة تحت القيد والحصار، والاستسلام للروتين الإجباري،ممّا يكرّس حالة القهر والانتظار المجهول.وهذا ما تزيد من تأكيده كلمة "العاطلون"، فالعاطل معجميا هو من لا يملك مصدر رزق أو شغل.فنجدها قد أضافت صورة جديدة للحصار، وهي العجز عن الإنتاج، فمثلما السّجين محروم من الحرية، العاطل محروم من الدّور في المجتمع، والشاعر ههنا يوحّد بين الحالتين ليصوّر فقدان الكرامة والفاعلية بسبب الاحتلال من جهة والتهميش من جهة أخرى.ثم يأتي ليقول "نربّي الأمل" فكلمة "نربي" جاءت من التربية والرّعاية والنّمو،وفي سياقها تحمل مفارقة لافتة، فبعد هذا الخراب والجمود، يظهر الأمل ككائن هشّ يحتاج إلى الرّعاية المستمرة، فاستخدامه لكلمة "نربي"بدلا من كلمات أخرى كننتظر أو نحلم يضفي طابعا فعّالا على هذا الرّجاء، وكأنّ الأمل ههنا ليس شعورا فحسب، بل مشروع مقاومة. ويقول الشاعر في مقطع آخر:

"والحياة هنا

تتساءل:

كيف نعيد إليها الحياة؟"[1]

تشير الحياة إلى الوجود والنشاط في معناها المعجمي، وأمّا سياقيا فنجد أنّ الشّاعر وضعها في موضع محدد"، أي في المكان المحاصر، الضّيّق، المقهور، فهي تبدو كأنّها شيء غائب أو مشوّه، لا تمارس معناها الطّبيعي، فقد شخصّهاالشاعر وجعلها تتخذ موقفا وجوديا،تسأل فيه عن وجودها وعن ذاتها، فليس الإنسان وحده من يعاني في هذه الحرب،بل حتّى الحياة تعاني من غياب المعنى.فالحياة هي من يجب أن تعطي الحياة، فصارت بحاجة إلى من يعطيها الحياة،أو بتعبير أصح صارت بحاجة إلى من يعيدها إليها،وهو إن دلّ على شيء فإنّما يدل على حجم الخراب الرّوحي والوجودي في الحصار،حيث المعنى نفسه قد مات، وصار النّاس يبحثون عن إحياء الوجود نفسه. ثمّ يقول في سياق آخر:

"كُلَّما جاءني الأمسُ، قلت له:

ليس موعدُنا اليومَ، فلتبتعدْ

وتعالَ غداً"[1]

[1] محمود درويش، المصدر السابق، ص13.

يشير الأمس إلى الزّمن الماضي، وقد شخصّه الشاعر في المقطع الآنف بالكائن الحيّ الذي يأتي ، وهو ثقيل غير مرغوب به،فيعطي الصورة طابعا دراميا تحمل في طيّاتها الجرح والذكرى والهزيمة.فهو عندما يقول له "ليس موعدُنا اليومَ، فلتبتعدْ" يرفض لقاء الحزن ويحاول إبعاده قدر الإمكان، وقوله:"تعال غدا" فيها تهرّب من خلال ازدواجية الابتعاد ثم العودة، فالمفارقة تكمن في أنّه يطلب من الأمس أن يأتي غدا، وهذا يربك المعنى المعجمي، ولكنّ من السياق يفهم الأمر على أنّه رغبة في إعادة تشكيل الماضي، أو نسيانه مؤقتا على أمل أن يكون الغد قادرا على استيعابه بطريقة أقلّ ألما، وهذا يؤكّد أنّ كلمة (الأمس) لم تُستعمل للتعبير عن معناها المعجمي، وإنّما أكسبها الشاعر دلالة سياقية مجازية عبّر بها عن الألم والحزن.ثمّ يقول متفائلا بغدٍ أفضل:

"نحب الحياة غداً
عندما يصل الغد سوف نحب الحياة
كما هي، عادية ماكرة
رمادية أو ملونة."[2]

الحياة تعني الوجود، والغد يعني المستقبل،واستخدام كلمة"غدا" مرتين يؤجّل الفعل ويعلّقه على تحقيق في الزّمن القادم،2فالحبّ ههنا مشروط بوصول الغد، أي بزوال الحصار،وعندها نستطيع أن نحب الحياة بكلّ صفاتها الخيرّة والشّريرة؛ عادية، ماكرة، رمادية،رمادية، ملونة....، وهذا يعكس وعيا ونضوجا فالشاعر لا يريد حياة مثالية بل يريدها "عادية" فيها تفاصيل روتينية، فيها تعب،لكن لايوجد فيها قتلودمار واغتصاب. ويقول محمود درويش في سياق آخر:

"فناجين قهوتنا. والعصافير. والشجر الأخضر
الأزرق الظل. والشمس تقفز من
حائط نحو آخر مثل الغزالة...

[1] محمود درويش، المصدر السابق، ص20.
[2] المصدر نفسه، ص27.

والماء في السحب اللانهائية الشكل
في ما تبقى لنا من سماء"[1]

تدلّ الكلمات الحاضرة في هذا القول على الطّبيعة والحياة اليومية الهادئة في معناها المعجمي،أمّا سياقها اللّغوي فلا تدل على ما هو عادي بل تدلّ على مقاومة صغيرة،ففي ظلّ الحصار،يتحول فنجان القهوة والعصفور إلى رموز للتشبث بالحياة،هي تفاصيل الحياة التي ما يزال الفلسطيني يملكها. ويرى الشاعر ألوانا للظل،رغم أنّه أسود إلا أنّه يراه أزرق.وفي المقطع السابق تجسيد للشمس التي ترمز للحرية وتشبيهها بالغزالة الخفيفة النّشيطة الرّشيقة،والشمس مجالها واسع في الفضاء،لكنّها تبدو محاصرة في مكان ضيق،ومع ذلك فلا زالت تقفز وتستمتع بالحياة داخل الخراب.ثم يصوّر لنا حلما آخر في مجال السّماء وهو السّحب الممطرة، والمطر فيه طاقة إيجابية دالة على الاستمرارية، لكنّ هذا المطر "فيما تبقّى لنا من سماء". فالفعل "تبقّى" يدل على النقص والفقد، وقوله "**في ما تبقّى لنا من سماء**" فيه وجع خفي، فالسّماء أوسع ما في الوجود،صارت محدودة ضيّقة بسبب القصف والطّائرات والحصار فهو يتكلم عن حرية مسلوبة.

ت-<u>مقاطع الكبرياء وعزة النفس</u>:

يقول الشاعر:

"قال معتقل للمحقق: قلبي مليء
بما ليس يعنيك. قلبي يفيض برائحة المريميّة،
قلبي بريء، مضيء، مليء،"[2]

في هذا المقطع مواجهة بين المعتقل الفلسطيني والمحقق الصهيوني،أي مواجهة بين الحرية والقيد،بين الحقيقة والقمع، وهو يعبّر عن تمرّد ورفض للتحقيق، و"قلبي مليء" تعني عامر، لكنّ السّياق يبيّن أنّ هذا الامتلاء سرّ داخلي لا يحق للمحقق معرفته،وهو رفض صريح لعدم التدخل. وأمّا عن قلبه

[1] 3ينظر :أ رشيد بن قسمية: قراءة سميوأسلوبية في ديوان حالة حصار لمحمود درويش،مجلة قراءات،مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة ومناهجها،جامعة بسكرة

[2] المصدر نفسه، ص65.

المليء برائحة المريمية،الّتي يرتبط اسمها بالرّائحة والعطر، وترمز إلى النقاء والشفاء في الثقافة العربية.وكلمة (يفيض) تخرج سياقيا إلى الشعور بالانسكاب والتدفّق الذي لا يمكن حجزه أو كتمانه.ثم ينتقل إلى إعطاء صفات أخرى لقلبه؛ "البريء"، " المضيء"، " المليء"، التي تحمل معاني البراءة والوضوح والحقيقة والأمل، فالقلب في هذا المقطع لا يدل على العضو الجسدي فقط، بل يدل على النّفس الدّاخلية والكرامة. ويواصل محمود درويش في ذات السياق قائلا:

"هكذا قال معتقل للمحقق: عاطفتي
لا تخصك. عاطفتي هي ليلي الخصوصيّ...
ليلي الذي يتحرك بين الوسائد حرّاً
من الوزن والقافية!"[1]

من خلال قوله: "عاطفتي لا تخصك" يرفض المعتقَل تدخّل المحقّق في عالمه الخاص حماية منه لما هو خاص وشخصي، فالعاطفة ههنا ليست فقط مشاعر،بل مساحة حرّة لا يحق للمحقق اختراقها.وقوله:" هي ليلي الخصوصي"، فالليل يحمل معنى الظلام والسّرية، وبالتّالي يريد به الهدوء الدّاخلي والحرية الشّخصية. وأمّا في قوله: "ليلي الذي يتحرك بين الوسائد حرا من الوزن والقافية"، ترمز الوسائد إلى الراحة والخصوصية، وهي تدلّ على مكان النوم والأحلام،أي الملجأ الآمن الّذي يلجأ إليه الإنسان ليلقى الرّاحة،ووظف الشّاعر تعبيرا شعريا قويا وذكيا في قوله "حرا من الوزن والقافية" لأنّ الوزن والقافية تمثلان قواعد الشعر واللغة المنظمة،2 وهما من مقيّدات الشعر، أسقطهما الشاعر على حياة المعتقل، وجعلهما يرمزان لكلّ قيد قد يواجه الإنسان في حياته؛ من ذلك الاحتلال، السيطرة، السجن، التحكّم.....، فالمعتقل يخبر المحقّق بأنّ عاطفته حرّة من احتلالكم وجبروتكم ومن تحكّمكم وسيطرتكم، وكأنّه يقول له العاطفة هي الشيء الوحيد الّذي تبقى للشعب الفلسطيني، ولن نسمح لكم بالتدخّل فيها. وفي قوله:

[1] محمود درويش، المصدر السابق، ص65.

2ينظر:أ رشيد بن قسمية: قراءة سميوأسلوبية في ديوان حالة حصار لمحمود درويش،مجلة قراءات،مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة ومناهجها،جامعة بسكرة

"نخزّن أحزاننا في الجرار، لئلا
يراها الجنود فيحتفلوا بالحصار...
نخزنها لمواسم أخرى،
لذكرى،
لشيء يفاجئنا في الطريق."[1]

"نخزن" تعني حفظ شيء ثمين، وليس وضعه جانبا، و"أحزاننا" جمع يوضّح أنّ الأحزان عديدة وليست عابرة، بل تراكم مستمر، ستحفظ هذه الأحزان في جرار كبيرة تقليدية ولا تحفظ في مجرد وعاء خوفا من أن يراها العدو، وعلى الرّغم من أنّها معنوية وليست مادية إلا أنّ الغاشم المستبّد لا ينبغي له أن يرى ضعف الشعب الفلسطيني حتى لا يفرح بهزيمتهم لأنّهم لن يهزموا وهم أصحاب حق، ولكن هذا لا يعني أنّ تخزينها دائم، بل سيكشفون عنها في محطات أخرى من حياتهم ليشعلوا الذاكرة ويقوّا الإرادة. وفي قول الشاعر:

"فحين تصير الحياة طبيعية
سوف نحزن كالآخرين لأشياء شخصية
خبأتها عناوين كبرى،
فلم ننتبه لنزيف الجروح الصغيرة فينا.
غداً حين يشفى المكان
نحس بأعراضه الجانبية"[2]

يواصل حديثه عن الحق في الحزن،لكن بعد أن تصبح الحياة طبيعية،بلا صراع وبلا حرب عندما نصبح مثل سائر الناس الأحرار فإنّنا سوف نحزن بما تمليه علينا الحياة الطّبيعية،فالصّراع السياسي يلغي مشاعرنا الدّاخلية، وفي قوله:" **فلم ننتبه لنزيف الجروح الصغيرة فينا"** استعارة تدل على الألم النّفسي

[1] المصدر نفسه، ص39.

[2] المصدر السابق، والصفحة.

3ينظر :أ رشيد بن قسمية: قراءة سميوأسلوبية في ديوان حالة حصار لمحمود درويش،مجلة قراءات،مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة ومناهجها،جامعة بسكرة

غير المرئي أو المهمل،3 فعدم الانتباه لهاته الجروح مرجعه الانشغال بالهموم الكبرى، وأمّا في قوله: "وغدا حين يشفى المكان" نجد كلمة (يشفى)، والّتي تعني الانتقال من حالة المرض إلى حالة الصحة والعافية، وهي لا تشير في سياقها السابق إلى هذا المعنى، وإنّما تدلّ على الانتهاء من الحصار أو الحرب. وفي قوله: "سنحس بالأعراض الجانبية" كناية عن الآثار النفسية التي تظهر بعد الشّفاء من الصّدمات أو الفقدان، وهذا يوحي أنّ تحرير الأرض لا يعني بالضرورة شفاء كاملا للذات. وممّا سبق تظهر بجلاء وظيفة السياق اللّغوي في الكشف عن المعاني الضمنية للأسطر الشعرية، فهو يقرأ ما بين السطور، ويفكّ شفراتها، ويكشف أسرارها المكبوتة. كما يكشف عن الأمل الّذي يملأ قلب الشاعر وقلب كل فلسطيني في استرجاع أرضه وحريّته.

3. المبحث الثالث:أثر السياق الخارجي في تحديد دلالة الكلمة في الدّيوان

يشمل السياق الخارجي كل الظروف الخارجية المحيطة بالنص؛ من ذلك الظروف السياسية والاجتماعية؛ الاحتلال، الحصار، النّكسة، التجربة التّاريخية للشعب الفلسطيني،ظروف الاعتقال والتهجير، ويدخل في ذلك عواطف الشاعر وظروفه الخاصّة، وكلّ أولئك يؤثّر بشكل مباشر على معنى الكلمات داخل النّص، ويمنحها دلالات أعمق أو مختلفة عمّا تعنيه في سياقات أخرى.فالكلمات المرتبطة (معتقل /محقق، حصار) لا تعني فقط معانيها الحرفية، بل تقرأ في ضوء تجربة قمع سياسية حقيقية.والكلمات التي تعبر عن **الزمن**(الأمس،الغد،الآن) ترتبط بحالة انتظار الحرية، وحسرة على الماضي،وأمل مشكوك فيه. وأمّا الكلمات المتعلقة بالطّبيعة والحياة اليومية؛ (السّماء، الحمامات، الشّجر، القهوة) تستعمل رموزا للمقاومة أو أشكالامن تمرد داخلي ضد واقع القمع.وكلمات أخرى متعلقة بالألم والفرحفي الدّيوان تعكس تجارب الشعب الفلسطيني مع الاحتلال الصهيوني،فالفرح لا يكون انتصارا صاخبا بل احتفالا صغيرا ومتواضعا.وعن المقاومة والصمودتجسدان في تعابير مثل(نربي الأمل، قلبي بريء، عاطفتي حرة) ضمن سياق نضال حقيقي ضد الاحتلال.

والملاحظ في ديوان "حالة حصار" أنّ الشّاعر محمود درويش متأثّر تأثّرًا كبيرا بالسّياق الخارجي المتمثل في الانتفاضة الفلسطينية الّتي حدثت سنة2002م وبما يحدث في أرضه المقدّسة من سياسات التدمير والقتل والتعذيب الّتي يمارسها الاستعمار الصهيوني، فالمقام والظروف الّتي نظم فيها الشاعر ديوانه كان لها تأثير واضح وجلي في أسطره الشعرية، فلسبب الحصار الّذي طبّقه الصهاينة على الفلسطينيين، على غرار محمود درويش اتّخذ الشاعر من كلماته وعباراته المنظومة وسيلة لمجابهة العدوّ الغاشم، هاته الكلمات الّتي لا تقلّ شأنا ولا قوّة عن الرصاص الّذي يُهدّد به المستدمر الشعب الفلسطيني، ومحمود درويش معروف بشجاعته وجرأته في إخافة الصهاينة. فهذا المقام وهاته الظروف الاجتماعية والسياسية أزاحت الكلمات الشعرية عن دلالاتها الأصلية وأكسبتها أبعادا جديدة تتجاوز معناها القاموسي والمعجمي؛ ومثال ذلك: كلمة " الأرض" في قوله " **على الأرض ما يستحق الحياة**"لا تشير فقط إلى الوطن،بل تتحوّل إلى رمز للكرامة والصّمود. كذلك يربط درويش بين الحصار والانتظار ليجعل من الانتظار حالة مؤلمة تعكس الشلل والحيرة،ونجده يستخدم ضمير المتكلم ليّعبر عن معاناة جماعية

وتتكثف الدّلالة عبر التّكرار، وهكذا تصبح الكلمة مرآة للواقع السياسي والنفسي، حيث يعاد تشكيل المعنى تحت ضغط الحصار. فنجده يقول متحدّثا عن الألم:

"الألمْ

هُوَ:
أن لا تعلِّق سيِّدةُ البيت حَبْلَ الغسيل
صباحاً، وأنْ تكتفي بنظافة هذا العَلَمْ"[1]

فلا مراء أنّ العلم راية ترمز إلى الوطن أو الدّولة، تحمل ألوانا وشعارات تمثّل الهوية الوطنية والسّياسية،والعلم قابله الشّاعر بحبل الغسيل وهو عادة يومية للمرأة تدلّ على الحياة البسيطة المفعمة بالاستقرار و الطّمأنينة،فغياب حبل الغسيل مساو لتعطّل الحياة،فيه خوف وتوقّف لروتين طبيعي لربّة بيت عادية، فالمقارنة ههنا قاسية جارحة، فالمرأة لا تستطيع أن تغسل ملابسها، لكنّها تكتفي بأن يكون العلم نظيفا،وكأنّ الوطن يجب أن يلمع بينما الحياة في هذه اللحظات وجب أن تهمش، فالعلم يرفع في الهواء بينما الغسيل يعلق على الحبل. فمن خلال السياق الخارجي وما تعيشه فلسطين من حصار واحتلال يتّضح لنا أنّ كلمة (العلم) لا تدل في السياق السابق على تلك الراية الوطنية فحسب، بل ترمز إلى الوطن، وتنظيف العلم يعني تنظيف الوطن من الاحتلال الصهيوني وتطهير الأرض المقدّسة من فساده بالدفاع عنها والاستشهاد في سبيلها. ويصوّر القول السابق الظروف الّتي تعيشها المرأة الفلسطينية وهي تناضل مع الرجال في سبيل وطنها، وعدم تعليقها لحبل الغسيل دليل على عدم السلام والاضطراب.يقول محمود درويش في سياق آخر:

"عندما تختفي الطائرات تطير الحمامات،
بيضاء، بيضاء. تغسل خدّ السماء
بأجنحة حرّة، تستعيد البهاء وملكية
الجو واللهو. أعلى وأعلى تطير"[2]

[1] محمود درويش، المصدر السابق، ص15.
[2] المصدر نفسه، ص23.

تعدّ الطّائرات معجميا وسيلة من وسائل النقل الجوي، ولكنّها في سياق القول السابق تخطّت هذه الدّلالة، لتدلّ على الحصار وترمز للعدوان أو الاحتلال الصهيوني الغاشم.وعندمايقول الشاعر "تختفي الطّائرات" يقصد بذلك اختفاء العدو الصهيوني وزواله، وانتهاء التهديد والموت، فغياب كل أولئك من شأنه أن يعيد للحياة حياتها. وعندها تطير الحمامات البيضاء في السماء لينتشر السلام في أرض فلسطين الطاهرة، لأنّ الحمامات البيضاء ترمز إلى السّلام، وتكرار"بيضاء" يعمّق الإحساس بالنّقاء والتّطهر من العنف،فالحمامات لا تطير إلا بعد زوال الطّائرات،أي أنّ السّلام مرهون بزوال الحرب.1 وعندها سوف تغسل خدّ السّماء، وهي استعارة قويّة تظهر السّماء ككائن مجروح، خدّها ملوث بدخان الحرب، فالحمامات تغسل هذا الأثر، وفي قوله: "بأجنحة حرة تستعيد البهاء"، الحرية والبهاء مرتبطة بالحياة والكرامة، وفي سياقها السابق ترمز إلى استعادة الحق في الحياة، وفي قوله: "وملكية الجوّ واللهو" تعني الملكية السيطرة، و" اللهو" يعني الفرح والبراءة، ومفاد القول أنّ الحمامات استعادت الجو بعد أن كان حكرا على طّائرات العدو، فاللهو يتحول إلى مؤشر سيادي للحرية، ويصبح الجوّ هو الوطن (أرض فلسطين). وممّا سبق يظهر بجلاء تأثير السياق الخارجي في تحديد هاته الدلالات الآنفة، فلو كنا نجهل ما تعيشه فلسطين من ظروف قاهرة، ولم نعلم جنسية قائل هذه الأسطر الشعرية كيف كان لنا أن نحدّد المقصود من الطائرات،واختفاء الطائرات، وكيف كان لنا أن نقبض على دلالتي؛ الجوّ واللّهو الرمزية، ومنهيمكننا القول إنّنا لو قرأنا هذا النص الشعري بمعزل عن سياقه الخارجي لما استطعنا القبض على دلالاته الّتي يقصدها الشّاعر.

عند قراءتنا وتصفّحنا لأسطر الديوان صادفتنا الكثير من الكلمات الّتي كان للسياق المقامي دور في إجلاء معانيها؛ من ذلك كلمة (البنفسج) الّتي وردت في قول الشاعر:

"مضى الساهرون ولم تبق إلّا سلال

البنفسج حولي، تساءلت أين العروسان؟"[1]

[1] ينظر: خيرة وارف، دراسة دلالية لديوان "حالة حصار" لمحمود درويش وفق نظرية الحقول الدلالية،مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري،في ضوء النقد المعاصر(ولايتا النعامة والبيض) المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
2محمود درويش، المصدر السابق، ص42

ينتمي البنفسج إلى النباتات الزهرية، وتتميّز هاته الزهرة برائحتها العطرة[1]، وتوضع غالبا على القبو والقبور، لذلك وسموها بزهرة الحزن، ومنه فهي لا تعبّر في القول السابق عن هاته الدّلالة، وإنّما تُشير إلى الموت والجنازة وكثرة القتلى، واستمدّت دلالتها هاته من السياق الخارجي، لأنّ هذه الزهرة تستعمل كثيرا في مواقف الحزن والجنازات، والمقام صبغها بهذا المعنى المجازي، حتّى عُرفت به. وكلمة (الحمامات) الواردة في قوله:

"عندما تختفي الطائرات الحمامات،

بيضاء بيضاء، تغسل خدّ السماء

بأجنحة حرّة، تستعيد البهاء والملكية"[2]

تشير معجميا إلى نوع من الطيور وواحدتها حمامة، أتى درويش بهذه المفردة ليُعبّر عن دلالة أخرى غير دلالتها المعجمية الآنفة، فعندما نسب لون البياض إليها جعلها رمزا للسلام والأمان، وهذه الدلالة سياقية اجتماعية مستوحاة من المجتمع، أي السياق الاجتماعي الخارجي للنّص، فكثيرا ما يُرمز للسلام والأمان في مجتمعاتنا بالحمامة البيضاء، ومحمود درويش في قوله السابق يبيّن أمله وأمل كل فلسطيني في اختفاء طائرات العدو الصهيوني، وتظهر الحمامات البيضاء معلنة عن السلام والاستقلال في أرض القدس الطاهرة.ونقف عند كلمة (ثعلب) الّتي جاءت في سياق قول الشاعر:

" السلام هو الانتباه إلى الجاذبية

في مقلتي ثعلب تُغويان الغريزة في امرأة خائفة"[3]

[1] يُنظر: مجمّع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، ص 71.

[2] محمود درويش، المصدر السابق، ص23.

[3] المصدر نفسه، ص96.

4 ينظر: خيرة وارف، دراسة دلالية لديوان "حالة حصار" لمحمود درويش وفق نظرية الحقول الدلالية،مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري،في ضوء النقد المعاصر(ولايتا النعامة والبيض) المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

يدل الثعلب معجميا على حيوان ماكر، ويُضرب به المثل في مكره وخبثه وحيلته، ولكنّه في سياق القول الآنف لا يفيد هاته الدّلالة،4 أي لا يدل على حيوان، وإنّما يحيل إلى الاستعمار الصهيوني، ويدلّ على مكره وخبثه، وقد نعته الشاعر بذلك، لأنّ هذه الصفة يشتهر بها الثعلب، وهذه الدلالة أخذناها من السياق الخارجي للنّص، ولكن اتّحاد سياق المقال وسياق المقامأوصلنا إلى المعنى المراد من ذلك. ومن الكلمات الّتي كان لسياق المقام دور في إجلاء معناها كلمة (الغراب) الواردة في قوله:

" شهر آذار: هذا النهار لنا كلّه

كلّه، يا حبيبي، فلا تتأخّر كثيرًا

لئلا يحطّ غراب على كتفي...."[1]

يشير لفظ (الغراب) معجميا إلى نوع من الطيور يتميّز بلونه الأسود، وفي القول السابق أكسبه الشاعر معنى مجازيا استوحاه من السياق الاجتماعي المتداول، إذ كثيرًا ما نشعر بالتشاؤم عندما نلمح هذا الطائر لكونه يشير إلى وقوع مصيبة، 2 وعندما خاطبت الفتاة حبيبها قائلة: "فلا تتأخّر كثيرا لئلا يحطّ غراب على كتفي"، أحال الغراب إلى الموت، ومقصود الكلام أنّها خاطبته وطالبته بالإسراع في المجيء قبل أن تموت وتوافيها المنية، وهذا دليل على خطر الموت الّذي يواجهه الشعب الفلسطيني كلّ يوم وباستمرار. ونستنتج من خلال ما سبق أنّ للسياق المقامي أثر وواضح وجلي في توجيه دلالات العديد من الكلمات في مدوّنة "حالة حصار"، فلولا هذا السياق وما يعتريه من ظروف سياسية واجتماعية في فلسطين لما كتب محمود درويش هذا الديوان. كما لا نغفل عن أهمية السياق المقالي الّذي لولاه لما قبضنا على هذه الدلالة الخارجية.

[1] المصدر نفسه، ص63.

2 ينظر :خيرة وارف، دراسة دلالية لديوان "حالة حصار" لمحمود درويش وفق نظرية الحقول الدلالية،مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري،في ضوء النقد المعاصر(ولايتا النعامة والبيض) المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة

و مما خلصنا إليه من خلال الفصل الثاني هو تتحول الكلمات في الديوان من معان حرفية بسيطة إلى رموز غنيّة تعبّر عن تجربة الحصار والاعتقال، فمن خلال دراسة وتحليل أثر السياق الداخلي (السياق النصي واللغوي داخل المدونة الشعرية)، وكذا السياق الخارجي(الظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية) في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار"، يتّضح أنّ الكلمة في شعر درويش لا تفهم إلا في ضوء السياقين، حيث يتحوّل معناها من الدلالة المعجمية الجامدة إلى دلالة شعرية عميقةويمنحها أبعادا متعددة؛القلب ، العاطفة، الذاكرة، فتصبح فضاءات مقاومة داخلية، تعبّر عن براءة النّفس وحرية الوجدان، وردّ التّدخل الخارجي. أما الأشياء اليومية البسيطة؛ كالقهوة والعصافير والسماء فتتحول إلى رموز للحياة التي تستمر رغم الحصار، وللحرية التي تسعى للعودة. والألم والحزن لا يظهران ضعف الشعب الفلسطيني بقدر ما هما أداتين من الأدوات المخفية الّتي تحفظها بها الذات لتستخدمها قوة للمقاومة، كما في فكرة تخزين الأحزان في الجرار. وبالنسبة لعنصر الزمان يتبدّل من أمس مؤلم إلى غد مؤجل إلى لحظة حاضر تملؤها مقاومة أملية.وأمّا الفرح والحرية في الشعر لا تتجلى في أشكال صاخبة بل في تحرّر خفيف،في حركات شمس كالغزالة وفي تحليق الحمامات البيضاء.والتحرر من القيد لا يقتصر على الحصار الجسدي بل يمتد إلى التحرر من قيود اللغة والقواعد الشعرية، تعبيرا عن الرغبة في مساحة داخلية لا تقيد.

ومختصر الكلام أنّه يتعذر الوصول إلى الدلالة الشعرية للكلمة في ديوان "حالة حصار" دون وعي مزدوج بالسياقين المقالي والمقامي، وهو ما يؤكد أنّ شعر درويش مركّب لغوي دقيق لا تبنى فيه الكلمة على معناها المعجمي فقط بل على ما تتضمّنه من احتمالات ضمن ما يحيط بالنص من ظروف مختلفة.

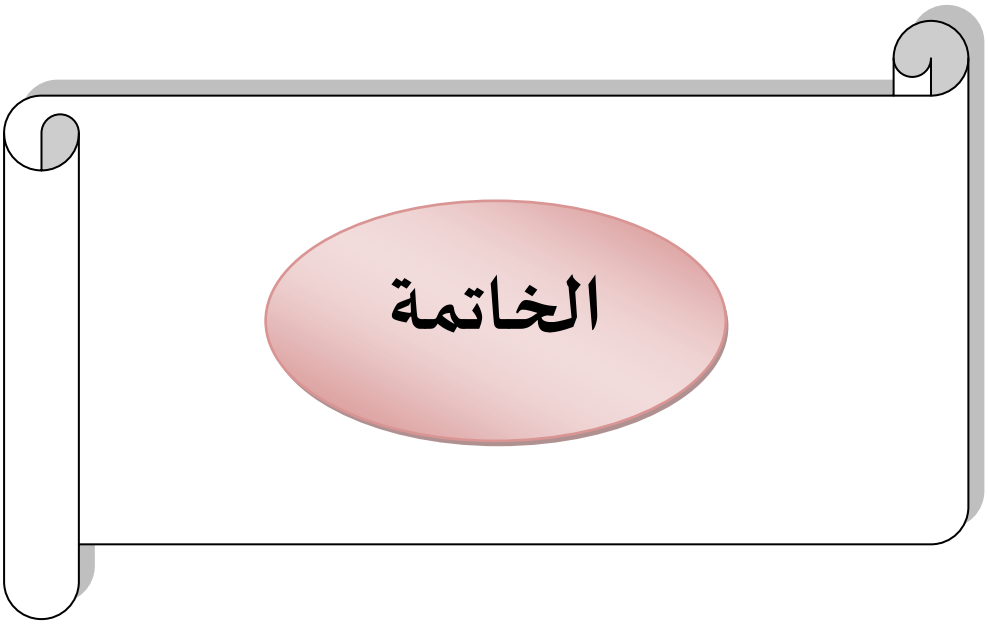
الخاتمة

وفي ختام هذا البحث،ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع الموسوم" أثر السّياق ووظيفته في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار" لمحمود درويش توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- السياق في اللغة هو التتابع،وسياقة الشيء قيادته إلى مكان معين.
- يعني السياق في معناه الاصطلاحي تتابع المفردات والجمل والتراكيب لأداء المعنى.
- أنّ الكلمة لا معنى لها مستقلّة خارج حدود السياق الذي ترد فيه وأنّ دلالة الألفاظ تتحدد داخل سياقها اللغوي.
- أنّ الدراسات اللسانية والبلاغية أفضت إلى تصنيف السياق إلى سياق لغوي وهو ذلك المحيط الّذي تقع فيه الكلمة في الجملة أو النص،ويشمل الكلمات والجمل السابقة واللاحقة للكلمة، ويحتوي على وحدات صوتية وصرفية، ونحوية ومعجمية وأسلوبية. وسياق غير لغوي أو مقامي ويشمل الظروف الخارجية المحيطة بالنص؛ اجتماعية، ثقافية، سياسية، دينية، تاريخية....
- للسياق تأثير في تغاير دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار"، ففي أحايين كثيرة اختلفت المعاني السياقية للكلمات عن معانيها المعجمية لأنّ الشاعر صبغها بدلالات جديدة مغايرة للمألوف، وجعلها تعكس واقع ما تعيشه فلسطين من حصار.
- المعنى الدّلالي للكلمة يقوم على ركيزتين هما: المعنى المقالي المكون من المعنى الوظيفي والمعنى المعجمي، والمعنى المقامي المكون من ظروف أداء المقال.
- السياق مهم جدا في فهم النّصوص ومقصود الكلام، فتلقى عليه مهمة أداء المعنى والفهم.
- السياق بنوعيه؛ المقالي والمقامي كان له دور جلي وواضح في إجلاء معاني ودلالات الكلمات في ديوان "حالة حصار"،كما شكّل مفتاحا مهمّا لفهم نصوصهالشعرية، فقد ساهم في تأويل المعاني العميقة، وأجلى لنا الرسائل المشفّرة الّتي بعث بها محمود درويش إلى العدو الصهيوني وإلى الأمّة العربية، وساعد على تفسير الأحداث الاجتماعية والسياسية التي أثّرت في الشاعر.
- ديوان "حالة حصار" غنيّ بالمعاني والمقاصد العميقة التي تحمل في طيّاتها مفهوم الألم والأمل،والظلم والحلم وغيرها من المعاني الإنسانية السّامية التي لا يمكن لأحد غير محمود درويش لم يعايشها النسج على منوالها.

- كشف السياق معاني الكلمات وحدّد دلالاتها الموحية،الحاملة للمعاني النفسية المعبّرة عن معاناة أصحاب الأرض ومقاومتهم للعدو الصّهيوني من أجل استرجاع سيادتهم.
- لم توُظّف كلمات الديوان عبثا بل كانت مصدر إلهام للشاعر جعلته يبدع ويتفنن في تصوير مشاهد الدّم والعدوان والحصار والمقاومة، كما كشف من خلالها عن الأحزان والآلام التي يعيشها الشعب الفلسطيني.

تمت بحمد الله

مكتبة البحث

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: الكتب العربية:

1. ابن منظور (جمال الدّين محمد بن مكرم)، لسان العرب،دار صادر،بيروت، مج:07، 2008م.
2. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
3. الجوهري(أبو نصر إسماعيل بن حماد)، الصّحاح "تاج اللّغة وصِحاح العربية"، تح: محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 2009م.
4. الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح:مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، (د.ط)، 1989م.
5. مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط،مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004م.
6. محمود درويش، حالة حصار، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ط1، 2002م.
7. سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي،القاهرة، تح: عبد السلام محمد هارون،ط 3، ج:01.
8. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ،1992م.
9. الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة (مصر)، (د.ط)، 2008م.
10. هاني الخير، محمود درويش "رحلة عمر في دروب الشعر"، موسوعة أعلام الشعر العربي، دار رسلان، دمشق، (د.ط)، 2015م.
11. حليمة أحمد عمايرة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء "دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة"،دار وائل، عمان، الأردن،ط1، 2006م.
12. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدّلالة "مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"،دار الشروق،القاهرة، ط1، 2000م.
13. محمد سعد محمد،في علم الدلالة،مكتبة زهراء الشرق، بورسعيد، مصر، (د.ط)، 2002م.
14. محمود السعران، علم اللغة "مقدمة للقارئ"، دار النهضة العربية، بيروت، (د.ط)، 2007م.
15. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية،مكتبة لبنان،بيروت، ط1، 1997م.
16. عبد الكريم محمد حسن جبل،في علم الدلالة،دار المعرفة الجامعية،طنطا، مصر، 1997م.
17. عبد النعيم خليل، النظرية السياقية بين القدماء والمحدثين،دار الوفاء، الإسكندرية،2007م.

18. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد، 1986م.
19. عماد عبد اللطيف،البلاغة والتواصل عبر الثقافات، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط1، 2012م.
20. فاضل السّامرائي، الجملة العربية والمعنى،دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2000م.
21. الشاذلي أبو السعودحسنين، الأدوات اللغوية وتعدد معانيه الوظيفية دراسة تحليلية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، ط1،الإسكندرية، مصر.
22. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،دار الثقافة،الدار البيضاء، المغرب، 1994م.

ثانيا: الكتب المترجمة:

1. جورج يول،علم التداولية،تر:سامي سليمان،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة، (د.ط)، 2006م.
2. ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة،تر: د كمال بشر،مكتبة الشباب،القاهرة، (د.ط)، 1962م.

ثالثا:المجلات:

1. نورة بن تهامي ومليكة دحمانية، انفتاح النص الشعري عند محمود درويش قصيدة "أنا يوسف يا أبي"، أنموذجامجلة حوليات الآداب واللّغات، كلّية الآداب واللّغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة (الجزائر)،2018م، مج: 05، ع: ماي 2018م.
2. عبد الرؤوف خريوش،دور مجلة الكرمل في ترجمة فنون الآداب العالمية،جامعة القدسالمفتوحة، نابلس
3. صابيح يمينة،أثر السياق ودوره في توجيه الدلالة،أقلام الهند، مجلة إلكترونية فصلية، دراسات ومقالات، أبريل 2022م.
4. محمد سالم صالح، أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى، كلية المعلمين بمحافظة جدة، جامعة الملك عبد العزيز.
5. أ رشيد بن قسمية،قراءة سميوأسلوبية في ديوان حالة حصار لمحمود درويش ، مجلة قراءات ،مخبر وحدة التكوين في نظريات القراءة ومناهجها ، جامعة بسكرة.
6. خيرة وارف، دراسة جلالية لديوان حالة حصار لمحمود درويش وفق نظرية الحقول الدلالية،مخبر التراث الثقافي بالجنوب الغربي الجزائري في ضوء النقد المعاصر(ولايتا النعامة والبيض) المركز الجامعي أحمد صالحي النعامة. 2024

رابعا: المذكرات:

1. محمد مراح، هندسة المعنى في الشعر العربي المعاصر "محمود درويش نموذجا"، رسالة لنيل شهادة الماجستير في تحليل الخطاب، كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر، 2012م/2013م.

خامسا: مواقع إلكترونية:

1. مشروع المصحف الإلكتروني بجامعة الملك سعود، http=//quran.ksu.edu.sa.tafseer.katheer.

2.

- https://www.aljazeera.net/culture/2002/4/16/

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
• شكر وعرفان	-
• إهداء	-
• مقدّمة:	أ-ب-ج
❖ الفصـــــــل الأوّل: مفهومه وأنواعه وأهميته	
1. المبحث الأوّل: مفهوم السياق لغة واصطلاحا	06 -05
أ. السياق لغة:	05
ب. السياق اصطلاحا:	06
2. المبحث الثاني: أنواع السياق	11 -07
أ. أوّلا: السياق اللّغوي:	07
ب. ثانيا: السياق غير اللّغوي:	08
3. المبحث الثالث: أهمية السياق في تحليل النصوص الأدبية:	14-12
❖ الفصل الثاني: أثر السياق ودوره في تحديد دلالة الكلمة في ديوان "حالة حصار " لمحمود درويش	
1. المبحث الأوّل:لمحة عن محمود درويش وديوانه "حالة حصار"	18-17
2. المبحث الثاني: أثر السياق الداخلي (السياق اللّغوي) في ضبط دلالة الكلمة في الديوان.	32-19
3. المبحث الثالث: أثر السياق الخارجي (السياق غير اللّغوي) في تحديد دلالة الكلمة في الديوان.	37-33
• الخاتمة:	41 -40
• مكتبة البحث:	45 -43
• فهرس المحتويات:	47